

منشورات جمعية تطاون أسمير

سلسلة تراث 13

محمد بن محمد بن عبد الله المكودي

الإرشاد والتبيان في ردّ ما أنكره الرؤساء من أهل تطوان

تقديم وتحقيق

د. عبد المجيد البوكاري

تطوان 1429هـ - 2008م



محمد بن محمد بن عبد الله

المكوديّ

الإرشاد والتّبيان

في ردّ ما أنكره الرّؤساء من أهل تطوان

تقديم و تحقيق

د. عبد المجيد بوكاري

الكتاب: الإرشاد والتبّيان في ردّ ما أنكره الرّؤساء من أهل تطوان

المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الله المكودي

رقم الإيداع القانوني: 2593 /2008

السنة : 1429 هـ - 2008

طباعة : مطبعة الخليج العربي ، شارع الحسن الثاني * تطوان*

الهاتف : 25 02 71 039 / الفاكس : 37 05 71 039

تقديم

لقيت الدرقاوية في البداية مجابهة كبيرة مع علماء تطوان الذين حاربوها بشتى الطرق، وضيقوا عليها المنافذ حتى لا تنتشر في البلاد. ولعل السبب الذي دعاهم إلى ذلك الموقف أن هؤلاء وجدوا في حمل المرقعة، والسير بالحفا، وحمل السبحة في العنق، والسؤال في الأسواق، وحمل القربة على الظهر، وغير ذلك من المظاهر التي خرجوا بها إلى الناس، فاعتبر فعلهم إفسادا للبلاد والعباد، وحيادا عن سنن الهدى إلى البدعة والفساد، كما جاء على لسان بعض من حاكموا الدرقاويين.

وقد زاد من إثارة علماء تطوان ما ظهر به الشيخ الجليل سيدي أحمد بن عجيبة بمظاهر درقاوية، فأنكروا عليه ذلك الأمر، ورموه بالبدعة والخروج عن السنة، وعابوا عليه خرقه للعوائد، فحاكوا له الدسائس، وتألبوا عليه، وانتهى الأمر إلى امتحان الدرقاوية بتطوان، فأدخل ابن عجيبة السجن ومن معه. زد على ذلك ما حققته الدرقاوية من نجاح وذيوع في الشمال، فقد ذكر المكودي كثرة عدد الفقراء في قبيلة أنجرا، وهي قبيلة ابن عجيبة: " فلا تكاد ترى أحدا في المسجد إلا وهو يذكر الله، وفي السوق إلا وهو يذكر الله، أو صنعته إلا وهو يذكر الله، وحاشا ومعاذ الله أن يتفق الجم الغفير ممن حالهم هكذا على الضلالة ويتحلون بالفساد، وعلى تقدير ثبوت ذلك عن بعضهم فلأي شيء تعرضوا لجميعهم، وآذوا كل من صادفوه منهم".

والغريب أن يشهد محاكمة الشيخ الدرقاوي وأتباعه جماعة من علماء تطوان، بل الأكثر من ذلك أن يتصدر لهم شيوخ التصوف، وكان فيهم شيخ الزاوية الريسونية علي بن ريسون، الذي كان يرى أن يبقى الشيخ ابن عجيبة سالكا متمسكا بالأسباب، متصدرا للعلم والتعليم.

ويحكي لنا الشيخ ابن عجيبة في فهرسته فصولا من هذه المحاكمة التي نال فيها الدرقاوية عنت كبير، مع ما تخلل ذلك من مناقشات ومجادلات عن حقيقة هذه الطريقة ومرجعيها وأصول بنائها، بل إن الأمر تطور أبعد من ذلك، إذ اعتبر أحد علماء تطوان وهو الفقيه محمد الجنوي الطريقة الدرقاوية قد ينشأ عنها تغيير كبير في الحياة الاجتماعية بالبلاد. ويذكر تلميذه أبو محمد سكيرج في تاريخه، أن الجنوي قال له:" إن درقاوة في هذا القطر، والنصارى قاموا في قطرهم، وكلهم ينشأ منهم فساد هذا العالم"[1]. وفي هذا القول ما فيه من التحامل والخنق على الدرقاوية والدرقاويين.

ولقد بين أبو عبد الله محمد المكودي التازي، الدرقاوي، في كتابه "الإرشاد والتبيان " بعض أسباب ووقائع ونتائج المحاكمة بالتفصيل، أكثر مما نجده عند ابن عجيبة. وهذا الكتاب من أهم الوثائق التي تولت تبيان ملابسات وحيثيات هذه المحاكمة، زيادة على بعده الحجاجي، فهو رد على من ينكرون على الدرقاوية.

فالمكودي هو أحد الممتحنين، إذ كان ضمن بعض الدرقاويين القادمين من تازة، الذين جاءوا لزيارة إخوانهم بتطوان، فكان ما كان من أمر محاكمة الجميع، فالأمر لم يكن يخص أشخاصا كما يبدو، وإنما كان الأمر يتعلق بمحاكمة الطريقة.

---

[1]- تاريخ تطوان، 7: 340.

مقدمة

يقدم مؤلف "الإرشاد والتبيان" مادة مهمة، ذلك أنه عالج فيه ملابسات وحيثيات محنة الدرقاوية بتطوان، وما آل إليه مصير طريقة من أهم الطرق الصوفية خلال القرن التاسع عشر، والتي أثارت ردود فعل كبيرة في المجتمع التطواني، عكست بالتالي جملة من المواقف التي جوبهت بها هذه الطريقة ورجالها، حيث تظاهر عليها فيها السياسي، والفقيه، والصوفي.

ولقد كانت للشيخ المكودي نظرات ثاقبة ومتفحصة لملامح هذا الموقف، فبحث عن دوافع هذه المكيدة، وعن هؤلاء الذين تصدروا لمحاكمتهم، وهل هم مؤهلون لذلك؟ وهل لديهم الحجة البالغة لاتهام هؤلاء الفضلاء؟ وهل اتهامهم هذا مبني على قرائن من العلم، أم هو محض افتراء وتجن على هذه الطائفة ومن انتمى إليها من الفقراء؟

هذا وإن هذا الكتاب يحيل أيضا إلى الأبعاد الجمالية التي اتسم بها المنحى الصوفي والعرفاني عند شيوخ الطريقة الدرقاوية، في أصولها وامتداداتها، فضمنه تحليلا لأصول هذه الطريقة ومرجعيتها، كما فعل في بعض مؤلفاته مثل كتاب "المنح السنية في الفقر والبلية"، وكتاب "القصد الحميد في الخرقة والتجريد"، علاوة على رسائل أخرى لم تصلنا والتي نتصور أنها لا تختلف في كثير من قضاياها عما ما وصلنا من آثاره.

على ذلك يستلزم توطئة نعرف فيها بأبي عبد الله، محمد بن محمد بن عبد الله المكُودي، وحيث إن الثناء على الرجل والإشارة إلى محاسنه ومناقبه لا تكتسب مصداقيتها إلا إذا كان للرجل قيمة علمية تقررها آثاره.

ومن البديهي أن نقول: إن كل ما قيل في حق الرجل من ثناء جميل في المصادر القليلة التي أشارت إليه، أو ترجمت له، فهو دون المقام الروحي والعلمي الذي يتبوؤه.

وعليه فإن هذا التقديم يتولى مناقشة ومعالجة هذه الأمور من خلال مطلبين، وهي:

المطلب الأول: ترجمة المؤلف.

والكلام في ذلك محصور في مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف.

المبحث الثاني: آثاره.

المطلب الثاني: كتاب الإرشاد والتبيان.

والكلام فيه ينحصر في مبحثين:

المبحث الأول: أهمية كتاب الإرشاد.

المبحث الثاني: نسخ الكتاب في الخزانات المغربية.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف:

أبو عبد الله، محمد بن محمد بن عبد الله المكُودي، نسبة لبني مكُود، التازي، الأصل. وبيت المكودي، "من أحواز تازا"[2]، أو تازة، بالمغرب الأقصى. وهذا البيت مشهور بفاس منذ القديم: "ولهم زقاق بفاس، يقال له: "عقبة بني مكود"، وبيتهم بفاس قديم، وهم أهل فقه، وكتابة وعدالة، وثروة"[3].

---

[2]- تاريخ ابن خلدون، 6: 247.
[3]- بيوتات فاس الكبرى، لابن الأحمر، 10، زهر الآس في بيوتات أهل فاس، 2: 217.

وأهم وثيقة تُعتمد في التعريف بالمكودي، هو ما ورد عند المعسكري[4] في كتاب: "**كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي، وبعض أصحابه الأخيار**"[5]، فقد حلاه بأوصاف جليلة، وأسبغ عليه حللا لا يحلى بها إلا أكابر القوم، ومن بلغوا في ذلك أعلى المراتب وأسنى المقامات، قال في تحليته: " الولي الصالح، السالك المجذوب، الناسك الواعظ الناصح، سني الأفعال والأقوال، وسني المقامات والمنازلات والأحوال، المرشد المعين، مشد أزر الإخوان بالذكر والتذكير، ومدحض رفقة المعاندين والمكابرين، والانتقاد والتنكير. العارف بالله، الصوفي، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله المكودي، بتازا، حرسها الله"[6].

ويضيف المعسكري في ترجمة المكودي:" كان، رحمه الله ورضي عنه، مجدا مجتهدا لإرهاصات السلوك، مسددا وممهدا، مالكا لحاله، مصرفا شأنه كله في محاله، محبوبا مقبولا على حسن الخلق والورع مجبولا، مقدما عند الشيخ والإخوان، ذاكرا متفكرا كل حين وأوان"[7].

يقدم لنا هذا النص عدة معطيات عن شخصية المكودي:

- انه مجد ومجتهد، في الطريقة، وأنه أحد أعلامها الفاعلين، سواء في نشر الطريقة، أو في الدفاع والمنافحة عنها، إذا اقتضى الأمر، خاصة عندما تعرضت للامتحان، وأسلط عليها وعلى شيوخها وأتباعها سيف الإنكار، وألفت الرسائل والمدونات في التشهير بها، وفضح أساليبها في التربية والتلقين، وتمحيص ما ظهروا به على الناس من مظاهر عدها هؤلاء غريبة عن تربة الإسلام، فألبوا

---

[4]- أبو زيان، محمد بن أحمد، الأغريسي المعسكري، (ت. 1271هـ/ 1854م). ترجمه: سلوة الأنفاس، 2: 362-363، الإعلام، 1: 229. المصادر العربية لتاريخ المغرب، 2: 24.

[5]- توجد منه مخطوطتان بالمكتبة الوطنية بالرباط، 2339ك، 2841ك، وأخرى بالخزانة الحسنية بالرباط، رقم:13905.

[6]- كنز الأسرار في معرفة مولانا العربي، وبعض أصحابه الأخيار، ص 78.

[7]- كنز الأسرار، م. س، ص 78.

الناس عليها وعلى رجالها، وأجبر الكثير من أتباعها عن التخلي عن الطريقة، أو "التوبة".

- أنه مالك لحاله، وهذا حال الأفذاذ من الرجال، وديدن أهل التحقيق.

- أنه مصرف شأنه كله في محاله،

- أنه محبوب،

- أنه مقدم عند الشيخ والإخوان، فقد كان من خاصة الشيخ، وكان ملازما له كما يستفاد من مواضع كثيرة من كتاب "الإرشاد والتبيان"، فهو يروي عنه كثيرا من الأخبار، ويورد كلاما له في سياقات مختلفة، وأحيانا يورد عبارات، مثل: "قال"، و "وقال لي، رضي الله عنه"، أو "قال لنا".

وقال صاحب كنز الأسرار:"قد جمع رسائل الشيخ التي أتته منه، إذ كان كثير المراسلة والمواصلة له دائما، وأخذ نسخا أيضا من رسائل الشيخ لغيره من أهل المغرب والمشرق، والصحراء وغير ذلك، حتى كان من ذلك العدد الكثير"[8].

وهذا يدل على أنه كان مقدما عند الشيخ، وله حظوة عنده ومزية عظيمة.

- أنه ذاكر متفكر، والذكر من أصول الطريقة، وأكد شيوخها على أهمية الذكر ومركزيته في السلوك، بل اعتبر عمدة الطريق، إذ لا يصل إلى الله تعالى إلا بالمداومة على الذكر. ويقوم السلوك عند الطوائف الشاذلية على الاجتهاد في الذكر والتفكر، وثمرته الفناء في الله.

إن شخصية بهذه الأبعاد حقيق بنا أن نهتم بكشف آثارها والتعريف بمأثورها، فذلك سبيل في إنصاف الرجل، فكثير من آثاره ضاعت في دائرة الزمن، وتوارت في غفلة من أهله.

---

[8] - كنز الأسرار، ص 78.

المبحث الثاني: آثاره:

في معرض ترجمه المعسكري للمكودي أشار إلى جملة من آثاره، وهي متنوعة غير أنها فيما يظهر لم تكن وافية، ونقرأ في إشارته: "وله مذاكرة، وله كلام كثير في التصوف نظما ونثرا[...] ورأيت له شرحا على منظومة الغوث الكبير سيدي أبو مدين الغوث، رضي الله عنه:

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا ** هم السلاطين والسادات و الأمرا

ورأيت له رسائل جليلة فيها حكم ومواعظ في سلوك الطريق، نوع فيه الأساليب، وأحسن في تنويعها السجع والتراكيب. ورأيت له منظومة عينية في بحر الطويل، أشار فيها لظهور الحق وكماله. ورأيت كتابة الذي ألفه في علماء تطوان [...] وكبرائها في تعنفهم وتعنتهم ورضاهم عن أنفسهم وجهلهم، وجهل جهلهم، وإنكارهم على أهل العلم حقيقة[...] وقد "سماه الإرشاد والتبيان في رد ما أنكره الرؤساء من أهل تطوان". سلك فيه مسلك الصدق نصرة لله ونصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله"[9].

وقد أورد المعسكري بعض كلامه، ومنه قوله:"قال في بعض رسائله: بعد كلام:" فكم من واحد غشيه نور العلم والبدايات فانحل في الظاهر ظنا منه أنه وصل النهايات، فاستوطن الرخو وعدم الجد والاجتهاد، حتى ألفت نفسه ذلك وأبعدته عن المراد، فلما هبت عليه رياح الاختبار، وجد نفسه في الفيافي والقفار، وليس معه زاد، ولا طاقة له على جد واجتهاد، فندم على ما فات، وكيف ينفعه الندم هيهات، هيهات، فتنبه أيها الأخ الحبيب، وتيقظ فإن الأمر عجيب"[10].

---

[٩]- كنز الأسرار، م. س، ص 78. (خ)

[10]- كنز الأسرار، م. س. 81.

ومن مؤلفاته التي لم يرد ذكرها عند مترجميه، نذكر كتابين له وردا في فهارس[11] الخزانة الحسنية بالرباط، وهما: "المنح السنية في الفقر والبلية"، وكتاب "القصد الحميد في الخرقة والتجريد".

واكتفى المعسكري بالإشارة إلى جملة من الرسائل التي ذكر أنه رآها، ولا نستبعد أن يكون اطلع عليها باعتباره من مؤرخي الطريقة، وأقرب الناس إلى معرفة كثير من الدقائق عنها وعن رجالها.

ومن شعره، وهو يعرض بمن امتحنوا الدرقاوية بتطوان، قوله:

فيا لائمي في حب ليـــلى، تجاهــلا	*	أقل نفسك العـــذل، فما هو نافع
أهيم بها مـــا عشت وجـــدا لأنهـــا	*	أرتني مـن الحسن البديع لوامـع
سقتني من الصهباء صرفا ولو سقت	*	جبالا من الصخر لعادت صوادع
فوالله مـا في الكون حسن يضاهيه[12]	*	ولولا هواها ما ترنـم والــــــع
فما غنت الأطيـــار إلا بذكرهـــا	*	ومن حسنها الأشجار مالت تدافـع
فمن لم يذق طعم الغـرام تهتكــــا	*	ووجـــدا بنار، قد حوتها الأضالع
لعمري ضاعت منه الأيـــام، ومـا له	*	نصيب من الدنيا، وأخراه ضائـع[13]

وهنا نتساءل عن مصير بعض هذه النصوص التي ورد ذكرها عند المعسكري، ولم يتيسر لنا السبيل للعثور عليها في فهارس الخزانات العامة، وأين استقر بها المقام؟ ويبقى الزمن كفيلا بالكشف عن جملة من كلام هذه الشخصية التي يبدو من خلال ما صلنا من إنتاجها أنها كانت ذات بال في الطريقة خلال

---

[11]- مخطوط الخزانة الحسنية رقم : 588.
[12]- س: يضاهيا.
[13]- كنز الأسرار، ص 81.

القرن التاسع عشر بالمغرب الأقصى. ولعل كتاب "الإرشاد والتبيان" الذي نقدمه اليوم، لهو أوضح مثال على نفوذ المكودي في الطريقة الدرقاوية.

المطلب الثاني: كتاب الإرشاد والتبيان:

فرغ المكودي من تخريج كتاب الإرشاد والتبيان" عام 1210هـ، الموافق لسنة 1795م، ذلك أنه ورد في في النسخة المحفوظة بالخزانة الحسنية رقم: 738، أنه وافق الفراغ من تخريجه في أواخر محرم الحرام فاتح عام عشرة ومائتين وألف، كما ورد في خوارج النسخة رقم 80ك بالمكتبة الوطنية بالرباط، العبارة: "وافق الفراغ من تخريجه عام عشرة ومائتين وألف".

وسنتناول هذا المبحث من خلال مبحثين:

المبحث الأول: أهمية كتاب الإرشاد

المبحث الثاني: نسخ الكتاب في الخزانات المغربية

المبحث الأول: أهمية كتاب الإرشاد:

نلخص أهمية الكتاب في النقط التالية:

أولا: يحكي المكودي في كتاب "الإرشاد والتبيان" فصولا من محاكمة الدرقاوية إذ حضر المؤلف وقائع هذا الحادث، بل إنه كان من الممتحنين في هذه النازلة، إذ كان قدم مع بعض رفقته إلى تطوان لزيارة إخوانهم، قادمين إليها بعد زيارة ضريح سيدي عبد السلام بن مشيش، فكان ما كان من تلك المحاكمة، خلال شهر رمضان من عام، فهو ينضاف إلى مؤلفات أخرى ومصادر أخرى كان لها أثر بالغ في التعريف بهذه النازلة ومختلف حيثياتها، مثل ابن عجيبة، وتاريخ تطوان، وغيرها من المصادر التي توقفت عند هذا الحادث.

وقد بين المكودي المشاركين في هذه المحاكمة، والمتظاهرين على رجال الدرقاوية في تطوان ومن والاهم، في قوله:

"ثم إن الزواق جاء وقال: أين فيكم الفقيه الفاسي؟. فأشرنا إلى سيدي أحمد الكوهن[14]، فقال: تكلم للقائد، فقلت: أريد المشي معه، فقال: إنه لا يريد غيره، فانصرف معه حتى أدخله على القائد وجماعة العلماء منهم: الفقيه الورزيزي[15]، والفقيه الجنوي[16]، والفقيه ابن الصادق[17]، والفقيه عبد الجليل البقال[18]، والفقيه المشهور بالرشاي[19] وغيرهم؛ ومعهم سيدي علي بن ريسون"[20].

فهذه الهيأة تضم ثلاثة عناصر تمثل النسيج المتحكم في مختلف مناحي الحياة ليس في تطوان فحسب بل في مجموع المغرب الأقصى: القائد (المخزن)، العلماء (الفقه الشرعي، أو الشريعة)، التصوف (الفقه القلبي، أو الحقيقة). فهذا التصادم ليس غريبا في تاريخ الفكر والثقافة بالمغرب، ولكن الغريب أن يكون في هذه الهيأة قوم ممن يحسبون من أهل التصوف والطرقية.

ولقد كانت للشيخ المكودي نظرات ثاقبة ومتفحصة لملامح هذا الموقف، فحاول الكشف عن دوافع هذه المكيدة، وعن هؤلاء الذين تصدروا لمحاكمتهم، وهل هم مؤهلون لذلك؟ وهل لديهم الحجة البالغة لاتهام هؤلاء الفضلاء؟ وهل اتهامهم

---

[14]- أحمد بن محمد الكوهن، والد عبد القادر بن أحمد الكوهن الفاسي(-1254هـ/ 1838م)، مؤلف إمداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والإسناد.

[15]- محمد بن علي الورزيزي (ت.1210هـ/ 1795م)، وهو من أشياخ ابن عجيبة. ينظر : أزهار البستان،328.

[16]- محمد بن محمد بن الحسن الجنوي العمراني الحسني التطواني، (ت.1214هـ/ 99- 1800م). تولى الخطابة والتدريس بجامع العيون من تطوان. ينظر أزهار البستان 330، تاريخ تطوان، 6: 195، م. بوخبزة، معلمة المغرب، 9: 3117.

[17]- محمد بن الصادق بن أحمد الحسني العلمي بن ريسون (1234 هـ/ 1818مم). وصفه مترجموه بالعلم والمشاركة. توفي بوزان عام 1236هـ. ينظر: الشرب المحتضر،51 (ظ)، النعيم المقيم، 1: 158- 160، الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف، 1: 259، و 265، تاريخ تطوان، 3: 206. و6: 266، م. بوخبزة، معلمة المغرب، 13: 4520- 4521.

[18]- عبد الجليل البقال، فقيه تطواني، زاول الإفتاء بمدينته من سنة 1186هـ/ 1772م إلى أن وافته منيته بها سنة 1219هـ/ 1804م.

[19]- أحمد الرشاي (ت.1210هـ/ 1795م). وهو من أشياخ ابن عجيبة. ينظر: أزهار البستان،309

[20]- علي بن محمد ابن ريسون، أبو الحسن، (ت. 1229هـ/1813م). ترجمته في الدرر البهية، 2: 73، عمدة الراوين، 5:، الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف، 1: 264، تاريخ تطوان، 6: 261- 263،

هذا مبني على قرائن من العلم، أم هو محض افتراء وتجن على هذه الطائفة ومن انتمى إليها من الفقراء؟ فيخاطب هؤلاء بقوله:

"فلله يا أهل الحق هل إنكار أهل تطوان هذا ناشئا عن علم، أو عن جهل؟ بل والله إنه لعنْ جهل، إذ العلم نور، وظلم العباد ظلمة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم:" الظلم ظلمات"[21]. والظلمة والنور لا يجتمعان، وإن ادعوا أنه عن علم، فهل علمهم مقيد بمذهب مالك، أو تجاوزوا المذاهب الأربعة، إلى مذهب الثوري، والأوزاعي، وعطاء، وابن جريج، وعكرمة، ومجاهد، ومعمرو، وعبد الرزاق، والبخاري، ومسلم، وابن جرير، وابن خزيمة، وابن المنذر، وطاووس، والنخعي، وقتادة، وغيرهم من التابعين وأتباعهم إلى مذاهب الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين، إذ لا يليق الإنكار إلا ممن أحاط بمذاهب هؤلاء وغيرهم، ولا ينكر على أهل [الانتساب إلى] الله إلا ما خرج عن مذاهب هؤلاء وغيرهم".

ولقد كشف المكودي أيضا في معرض رده على المنكرين والمناوئين عن التناقض الذي حصل لهؤلاء حين عارضوا ما عليه الصوفية، من حمل السبحة الغليظة، وفي المقابل "يجالسون الجبابرة والظلمة صباحا ومساء فيرون عليهم المجاديل الغليظة من الحرير الخالص كالأفاعي، ولا يقولون حرام أو بدعة".

وبموازاة مع هذه الصورة التي يقدمها المكودي عن علماء تطوان، نصادف صورة أخرى لعلماء فاس، صورة مشرقة، مخالفة لما ظهر عليه علماء وأعيان تطوان، يقول:

"وكم من فقير بفاس، ما يرى عليه من باس، مع عمارتها بالفحول والأبطال والدواهي في العلم والعمل من الرجال، فما سمعنا منهم عارا، ولا تحققنا منهم

---

[21]- أخرجه البخاري، (كتاب المظالم والغصب، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، 2: 269)، ومسلم، (كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم: 57).

إنكارا، فضلا عن غيرها من المدن والحواضر وسائر القرى والمداشر. وكذلك الملوك والحكام ما رأينا منهم سوى البرور والإكرام".

وكشف المكودي عن حجج المنكرين، وبيَّن تهافتها، وأنها لا ترتكز على أساس من العلم، بل هي مجرد افتراء وبهتان، ولا تقوم على دليل وبرهان، فتساءل عما دفعهم إلى امتحان شيخ له هذا الشأن، ولم يخالف الكتاب والسنة، ولا اقترف ما يستدعي السجن والامتحان، سوى أنه لبس المرقعة، وركب الحمار، ومشى بالحفا، وكشف الرأس، وتذلل لله في العباد بالسؤال:

"فلله عليهم هل رأوا من سيدي أحمد بن عجيبة ما خالف النصوص الصريحة؟ أو خرق إجماع المسلمين مثل شرب الخمر والزنا واللواط وأكل أموال اليتامى، وغير ذلك؟. وهل رأوه ظلم أحدا أو شتمه، أو تعدى عليه في أخذ مال أو غيره؟ نعم رأوه يلبس المرقعة، ويركب الحمار، ويمشي بالحفا، ويكشف رأسه، ويتذلل لله في عباده بالسؤال وغيره. وهذا وشبهه مما يدل على إخلاصه، وعلو منصبه عند خالقه، إذ هذه الأحوال عند أهل الإخلاص كلها نسك، ولها أصل عند أشياخ الطريق".

"وبهذا يتبين لك أنهم مضروبون في الرأس، وأن خبطهم مجرد الزيغ والهوس، لم يعولوا على حاصل، ولم يظفروا بطائل".

إنها شهادات معاصر لهذه الأحداث التي تناقلتها كتب الطريقة، وكتب التاريخ العام، كما تلقفها البعض من ألفوا في نقد الطريقة الدرقاوية، فاستندوا عليها لتأليب الناس عليها، إذ شككوا في سندها، وطعنوا في أصالتها، فساقوا لأجل ذلك ما رأوه حججا دامغة على فساد مذهب أهلها. ونذكر من ذلك كتاب: المقتبس الأسنا

في بيان طرق معاني نظم الأسماء الجسنى[22]، لأبي عبد الله محمد الحبيب الحسني الفلالي، الذي كان كلامه لاذعا .

ثانيا: يضم كتاب "الإرشاد" طائفة من أقوال الشيخ العربي الدرقاوي، يرويها المؤلف، عن شيخه. ومن هذه النصوص ما هو مذكور في رسائل مولاي العربي الدرقاوي، أو في مصادر الطريقة، ومن أمثلتها، نذكر:

ومن أقواله:" من شاهد الكمال في كل شيء، واستمد من كل شيء، وزاد قربا إلى الله بكل شيء، ومن شاهد النقص في كل شئ استمد منه كل شئ وزاد بعدا من الله".

ومن أقواله أيضا الواردة في الإرشاد:

" اعلم أن كل من كان قاصدا لمولاه، صادقا في طلبه لو طلبه في الحجر لوجده فيه، ولتجلى له فيه حتى يشاهده عيانا، وما ذلك على الله بعزيز، وأحرى في الآدمي المنسوب إلى مولاه، ولكن ما فاز من فاز بالذخيرة إلا بمحبته وحسن ظنه في عباد الله، ولا حرم من حرم إلا بعدم محبته وسوء ظنه في عباد الله، جعلنا الله من أهل حسن الظن في عباد الله".

قال المكودي: "ولما رجعنا، والتقينا بالشيخ، رضي الله عنه، قال لنا:" الحمد لله الذي جعلنا من حيز أهل الصدق، وجعلهم من حيز أهل التكذيب".

قال، رضي الله عنه:" وقد تدبرت القرآن فإذا الثلث أو قريب من الثلث كله في قصص أهل التكذيب لأهل الصدق وما جرى للمكذبين، نسأل الله السلامة بمنه، إنه على كل شئ قدير".

كما يعرض المكودي جملة من أقوال سيدي علي بن عبد الرحمن

22- مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط، رقم: 12050.

العمراني[23]، وهو شيخ مولاي العربي الدرقاوي، ومن ضمنها قوله:

" اعلم أن محسن الظن في المنسوبين، وهو مخطيء، أفضل من مسيء الظن فيهم وهو مصيب؛ لأن الخلق مثل الأرض أينما حفرت تجد الماء، إلا أن بعض المواضع الماء فيها قريب، وبعضها الماء فيها بعيد، كذلك سر الربوبية في كل مخلوق، اطلبه فيمن والاك منهم تجده. إلا أن أقواما تجده فيهم ظاهرا جليا، وأقواما تجده فيهم باطنا خفيا. والحق تعالى هو الظاهر الذي ظهر في أهل الظاهر، وهو الباطن الذي بطن في أهل الباطن. وعلى هذا فصاحب سوء الظن محروم بسوء ظنه لما ظن السوء وجد السوء، وصاحب حسن الظن مكرم بحسن ظنه، لما ظن الجميل وجد الجميل" أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء"[24].

ومن أقواله: " والله لا تقول أنا إلا بعد حصول الفنا، والله لا تحصل لك الحياة إلا بعد الفناء والممات، والله لا تشرق لك الشموس، إلا بعد فناء النفوس، والله لا تبلغ مقام المنا، حتى لا يبقى لك بين الأنام ثنا: وكان كثيرا ما ينشد:

ولو عز فيها الذل ما لذ الهوى ولم تك لولا الذل في الحب عزتي

وكان ينشد:

إذا كنت لم تصبر على الذل في الهوى تفارق من تهوى، وأنفك راغم

ومن أقواله:" التجريد للفقير كالذهب والفضة إذا شُحرا في النار، لا يبقى فيهما دنس، كذلك الفقير المتجرد للحقائق، فإن الحقائق تصفيه ظاهرا وباطنا، حتى لا تترك فيه دنسا، مثل التصفية للذهب والفضة. والله ما وجدنا للمريد شيئا أعلا

---

[23]- علي بن أحمد بن عبد الرحمن العمراني، الملقب بالجمل، (1194هـ/ 1780م). من شرفاء بني عمران، صحب أبا المحاسن سيدي العربي بن أحمد بن عبد الله معن الأندلسي، ولزم خدمته مدة 16 سنة.
ترجمه في: الروضة المقصودة، ص469.- 470. إتحاف المطالع، ضمن موسوعة أعلام المغرب، 7: 2418، وتذكرة المحسنين، 7: 2421، سلوة الأنفاس، ج : 358، 360. وألف في مناقبه الشيخ العربي الدرقاوي تأليفا.

[24]- روي في الصحيحين بدون: إن الخ... (الجامع الصغير، 2: 312، رقم: 1933، فيض القدير بهامشه).

مرتبة من التجريد، به يتجرد المريد الصادق من النقائص كلها، لكن مع شيخ عارف يرشده".

وقال، رضي الله عنه:" قال لي سيدي العربي بن عبد الله، رضي الله عنه: ألا أخبرك يا ولدي، والله لولا أني أعلم أنك تصدقني فيما يقول لك ما أخبرتك حالتك [هذه]، يعني التجريد، هي الإكسير الأحمر الذي لا شيء في الوجود أعظم منه ولا أشرف ولا أقرب منه".(هـ).

ثالثا: مصادر المؤلف أغلبها من معاصريه، فيقول: "حدثني من أثق به"، أو "أخبرني"، أو "قال لي"، أو "ذكر لي بعض الثقات"... مما يضفي على هذا النص طابعا مميزا، ينضاف إلى ما اعتمده من مصادر أخرى، عن التصوف وتاريخه ورجاله، إضافة إلى كتب الحديث، في سياق تعضيد مذهبه وإقناع مخاطبه، خاصة وهو يخوض في مجال من أعقد المجالات في تاريخ المغرب التصوف ورجاله ومظاهره العبادية عند طائفة من الناس، مخصوصين. زد على ذلك أنه في موفق حجاج ومناظرة لخصوم الطريقة وغيرهم، ودفع ما اتهم به الدرقاوية من قبل أولئك الذين كانت لهم يد في الزج بها في هذا الامتحان الذي ترك أثرا قويا على هذه الطريقة ورجالها.

المبحث الثاني: نسخ الكتاب في الخزانات المغربية:

توجد من هذا الكتاب نسخ عديدة، متفرقة بين الخزائن الخاصة والعامة بالمغرب، مما يدل على تداوله في أوساط المغاربة، ثم على نفوذ الدرقاوية في المغرب خلال القرن التسع عشر.

وقد كشف البحث على وجود عدد مهم من نسخ الكتاب، تتفاوت من الناحيتين الجمالية والعلمية، فالبعض منها بطرره إفادات مهمة، هي إما تعليق على

النص، وإما هي إضاءات وكشف عن بعض ما أشكل فيه، مما يجعل المطلع على النسخة في غنى عن الرجوع إلى بعض المصادر لاستبيان بعض أموره.

وقد عملنا جهدنا في استثمار كثير من خوارج النص، لما لها من أهمية قصوى في التعرف على تاريخ النص، إضافة إلى تبين تاريخ قراءته، ثم في كشف مستويات تلقي الكتاب خلال فترة من فترات التاريخ الثقافي والفكري بالمغرب، باعتبار الكتاب يؤرخ للطريقة، في فترة معينة، ثم هو إلى جانب ذلك يؤرخ لحركة الفكر في المغرب خلال القرن 19م، وفي تفاعل مختلف مكوناته، والقضايا الخلافية التي كانت مثار نقاش ومناظرة، وما أفرزه هذا الفكر من تحولات اجتماعية وثقافية، بقي أثرها ساريا إلى وقت قريب.

وقد حصرنا لائحة أولية لنسخ الكتاب، لعلها تكون كافية لإخراج نص أقرب إلى النص الذي كتبه مؤلفه. وقد اقتصرنا على ما هو متوفر في كل من الخزانة الحسنية بالرباط، والمكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط.، وهي كالتالي:

1- نسخ الكتاب في الخزانة الحسنية بالرباط:

توجد في الخزانة الحسنية ثلاث نسخ من كتاب "الإرشاد والتبيان":

- **الأولى**: مسجلة تحت رقم **738**، وهي نسخة تامة، مكتوبة بخط مغربي متوسط، مشوب بالحمرة، دون ذكر لاسم الناسخ الذي فرغ من كتابته يوم 19 ذي الحجة عام 1212هـ. (فرغ من تخريجه أواخر محرم فاتح عام 1210هـ). تقع ضمن مجموع من ورقة 46أ إلى 77ب، المقياس: 15x 20.5 سم، المسطرة: 25س، التعقيبة مائلة. ورمزنا إليها بالحرف: "س".

- **الثانية**: مسجلة تحت رقم: **11948**، وهي نسخة تامة ومقابلة، كتبت بخط مغربي حسن ملون ومشكول، وافق الفراغ من تخريجها أواخر محرم الحرام عام

1210هـ، ومن نسخها يوم 5 رمضان سنة 1286هـ، دون ذكر اسم الناسخ، تقع في 28 ورقة من 95 إلى 122، مقياس: 16x21سم، مسطرة 24س، بها تعقيبة وبعض الطرر وهي سالمة من الخروم. **وقد رمزنا إليها بالحرف**: "ح".

- **الثالثة**: مسجلة تحت رقم **12462**، وهي نسخة غير تامة تنتهي عند قوله:" فإنكم تذهبون بسلام ولا بأس عليكم وإن أبيتم وامتنعتم"، كتبت بخط مغربي حسن تتخلله الحمرة، تقع في ست ورقات، مقياس: 18x23سم، مسطرة 21س، خالية من تاريخ النسخ ومن اسم الناسخ، بها تعقيبة وختم، وهي خالية من الخروم.

- **الرابعة**: مسجلة تحت رقم: 14145، نسخة مصححة، مبتورة الأخير، تنتهي عند قوله: "وللبدعة المباحة أمثلة منها المصافحة عقب العصر والصبح واختار الشيخ محيي الدين إن صافح من كان معه". كتبت بخط مغربي وسط، تقع ضمن مجموع من ص 589 إلى 611، المقياس: 23 X 17سم، المسطرة: تتراوح بين 31 و 34س، خالية من تاريخ النسخ واسم الناسخ، التعقيبة مائلة. وقد رمزنا إليها بالحرف: "غ".

2- نسخ الكتاب في المكتبة الوطنية بالرباط:

- **الأولى**: مسجلة تحت رقم: 1856 د، نسخة تامة، كتبت بخط مغربي واضح، تتخلله الحمرة، تقع ضمن مجموع من ورقة 100ب إلى 127ب. وقع الفراغ من نسخها عشية يوم الخميس المتمم 20 جماد الأول عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف (1332هـ)، على يد الفقير محمد بن علي بن مخلوف الأندلسي أصلا، الفاسي دارا. مسطرتها 21 باطراد، مقياسها 17.5x22.3 سم. بها تعقيبة. ورمزنا إليها بالحرف: "د".

- **الثانية**: نسخة مسجلة تحت رقم 80 ك. نسخة تامة، مصححة وعليها طرر، هي إما نقول من مصادر التصوف، مثل عوارف المعارف، وشرح الحكم لابن عجيبة، أو من كتب الحديث والتفسير، أو من المعاجم وكتب اللغة المشهورة، لبيان بعض ما أشكل من لغة النص.

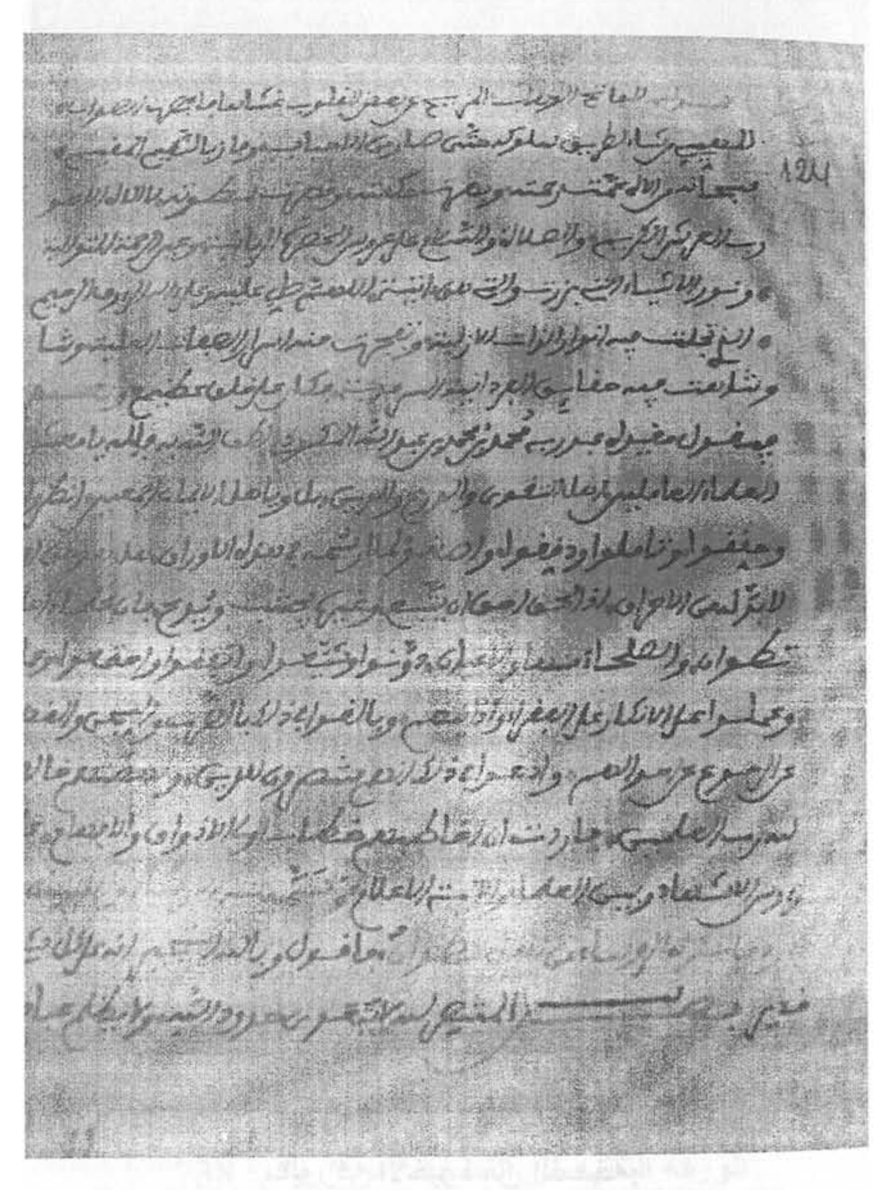
وهذه النسخة كتبت بخط مغربي حسن، تتخلله الحمرة، تقع ضمن مجموع من ص 178 إلى ص 242. مسطرتها 25 س، مقياسها 18x22.4 سم، خالية من تاريخ النسخ ومن اسم الناسخ. ورمزنا إليها بالحرف: **"ح"**.

وتوجد من هذه النسخة نسختان مصورتان على الشريط: الأولى رقم: 1706 فيلم، والثانية رقم: 2405 فيلم.

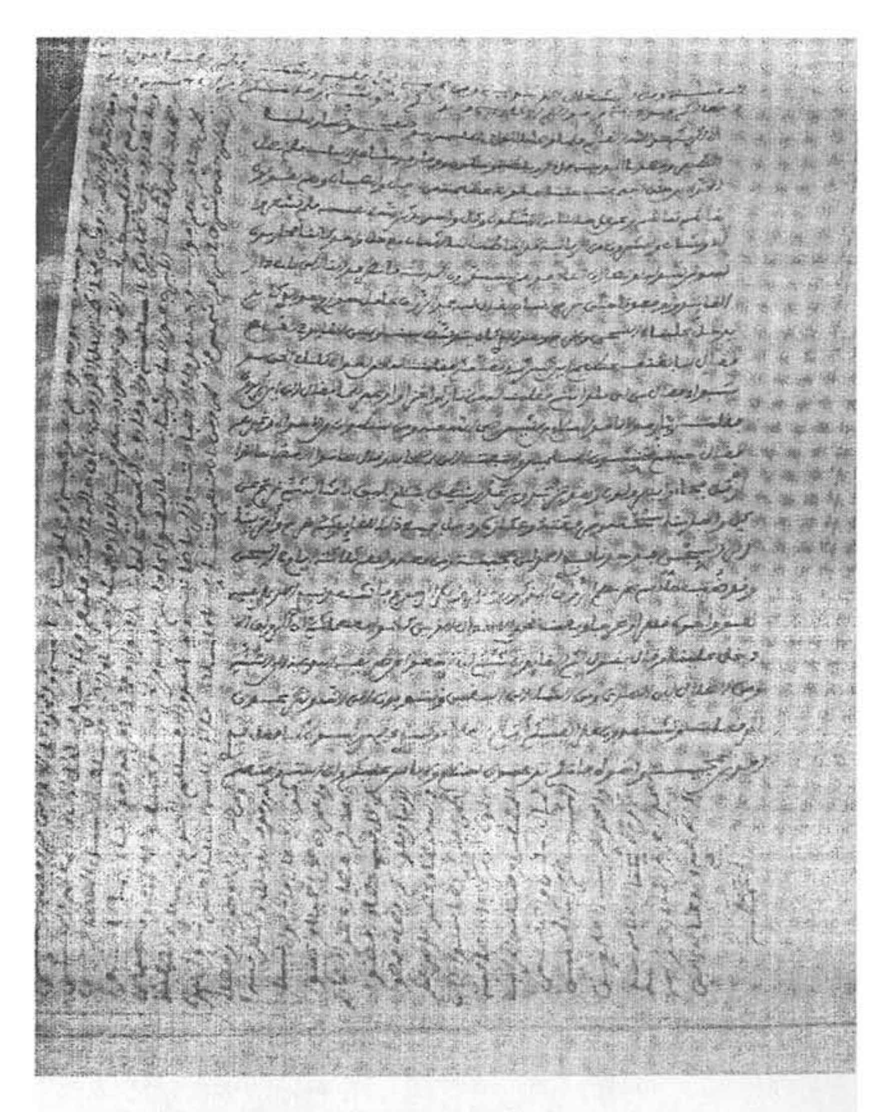
- **الثالثة**: نسخة أخرى منه مصورة على الشريط، عن نسخة الحاج أحمد بناني (مدير التشريفات سابقا) محفوظة بالمكتبة الوطنية بالرباط، مسجلة تحت رقم: 786 فيلم، كتبت بخط مغربي حسن، خالية من تاريخ النسخ ومن اسم الناسخ. عدد صفحاتها: 68. ورمزنا إليها بالحرف "ب".

- **الرابعة**: نسخة مسجلة تحت رقم 1929 د. وهي قطعة من الكتاب، تنتهي عند قوله:" ومن أراد الشفاء فيما يشهد من أحوال الفقراء فليطالع الرسالة العلمية". كتبت بخط مغربي حسن، مسطرتها 24 س، مقياسها 17.5x23 سم، خالية من تاريخ النسخ ومن اسم الناسخ. ويظهر أن الناسخ عرض له عارض منعه من إتمام نسخ الكتاب. بها تعقيبة.

نماذج من المخطوطة

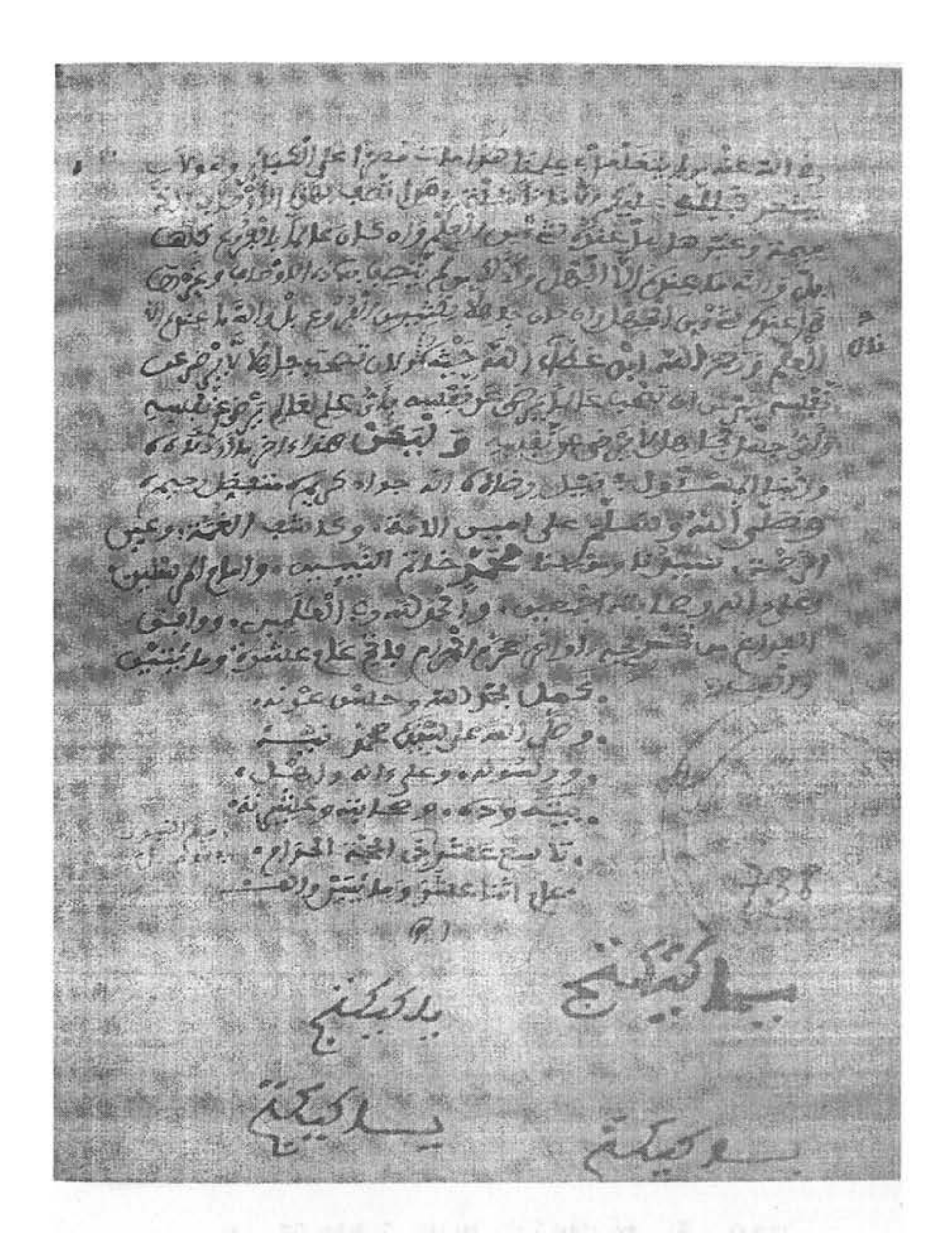


الورقة الأولى من النسخة " 12462



الورقة الأخيرة من النسخة:
12462

الورقة الثانية من النسخة "س". رقم: 738



رقم: 738. الورقة الأخيرة من المخطوطة "س"

رقم: 11948 الورقة الأولى من النسخة: "ح".

نموذج من الطرز على النسخة: "ح". 11948.

عبده ورسوله النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما بقدر عظمته وأزل و
كل وقت وحين اللهم اغفر لمؤلفها ولكاتبها وللواسطة بينهما ولمن طالعها بالنية
والتسليم اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات والحمد لله رب العالمين
وكان الفراغ من مبادئه التصحيح يوم الخامس من رمضان المعظم سنة ست وثمانين
وما ئتين وألف وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم

الورقة الأخيرة من النسخة: "ح".

11948

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

[illegible]

الورقة الأولى من النسخة رقم: 1856 د

حيث لا دونا ناصير له بقدرة أمير الله بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم [illegible] صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين اللهم اغفر
لمؤلفها ولكاتبها و[illegible] بينها ولقارئها بالنية والتسليم وللمؤمنين والمؤمنات
الأحياء منهم والأموات والحمد لله رب العالمين كمل بحمد الله وحسن عونه هذا
التأليف عشية يوم الخميس المختتم عشرين من جمادى الأول عام اثنين وأربعين وثمانية والف
على يد العبد الفقير الورى وأقل العبيد الراجي من سيده الرحمن الرحيم غفرانه [illegible]
[illegible] محمد بن علي بن مخلوف الأندلسي أصلا القاسمي دارا كان الله له ولجميع المسلمين
[illegible] بفضله وجوده بجاه نبيه وحبيبه سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم ومجد وعظم
استودع كاتب الحروف شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن سيدنا محمدا
عبده ورسوله يجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا [illegible] رسول الله
اللهم احينا عليها وأمتنا عليها واحشرنا مع أهلها واجعلها مؤنسة لنا في الدنيا والآخرة
وابعثنا عليها واجعلها حجة لنا [illegible]
اللهم إنا توسلنا إليك بها [illegible]
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الورقة الأخيرة من النسخة رقم: 1856 د

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الفتاح الوهاب الذي رفع عن بعض القلوب غشاء الحجاب حتى رأت الصواب المعتني من شاء
الطريق سلوكه حتى صار من الأحباب وفاز بالنعيم المقيم [illegible] رحمته و[illegible] حكمته
و[illegible] الدهور [illegible] الكريم والصلاة والسلام على [illegible] القدسية و[illegible]
الرحمة المتوالية ونور الأشياء التي برزت [illegible] صلى الله عليه وعلى آله [illegible]
[illegible] الذات الأزلية وتفجرت منه أسرار [illegible] العلية [illegible]
حقائق الوحدانية الصمدية وكان على خلق عظيم

وبعد فيقول [illegible] لعبد ربه محمد بن محمد بن عبد الله [illegible] الله به [illegible]
العلماء العاملين أهل التقوى والورع والدين بل وأهل الإيمان أجمعين [illegible]
[illegible]
وغيركم [illegible] أهل التقوى والعلماء [illegible] والأعيان [illegible]
واجتمعوا [illegible] على الإنكار على الفقراء [illegible]
على الرجوع على [illegible] لله رب العالمين
[illegible] على رؤوس الأشهاد [illegible] العلماء [illegible]
[illegible] بالإرشاد [illegible] الرؤساء من أهل التقوى [illegible]
وبالله أستجير إنه على كل شيء قدير [illegible] لا يتعدى حدود الله ولا يظلم عباد
الله ولا [illegible] إلى الله وإنما [illegible] بالظاهر [illegible] الباطن [illegible]
[illegible] أهل العلم بالله [illegible] رسول
الله صلى الله عليه وعلى آله [illegible] عند الله [illegible] للنفس
والانتصار [illegible] وهو الوكيل [illegible]
[illegible]
وهم لا يعرفون [illegible] وقد قال أبو العباس
المرسي رضي الله عنه لو كشف عن حقيقة الولي لعبد [illegible] لو كشف عن نور المؤمن العاصي
[illegible] ما بين السماء والأرض [illegible] المؤمن [illegible] عليهم أن يتوبوا إلى الله [illegible]

الورقة الأولى من النسخة رقم: 1929 د

الورقة الأخيرة من النسخة رقم: 1929 د

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

780 فيلم

الحمد لله الفاتح الوهاب • الذي يجعل بعض القلوب فيشاهدها بما
عين الصواب • المهيئ من شاء لطريق سلوكه حتى طارحه الاحباب •
ومانح الفيض الجليل • سبحانه من إله عمت رحمته • وبهرت حكمته
وقهرت سطوته • لا إله إلا هو رب العرش الكريم • والصلاة والسلام
على [illegible] الهادي سبيله • وعين الرحمة الشفاء البينة • ونور الأشياء
التي برزت كلها والتي هي ذاته المهيمن عليها وعلى آله البررة أولي
الرحمة التي تجلت بها أنوار الذات الأزلية • وتفجرت منه أسرار
الصفات العلية • وتشعشعت بها حقائق الصمدانية السرمدية •
صلاة [illegible] على عظيم • وبعد فيقول [illegible] عبد [illegible] محمد [illegible]
محمد [illegible] عبد الله السلوي لطف الله به [illegible] يا معشر العلماء
العاملين • أهل التقوى والورع والدين • بل ويا أهل
الإيمان أجمعين • انظروا وحققوا • وتأملوا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] • والعلماء [illegible]
[illegible] • [illegible] واجتمعوا
وعملوا على [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الورقة الأولى من المصورة رقم: 780 فيلم

[illegible] في نيل رضاه انه جواد كريم متفضل رحيم وصلى الله على سيدنا [illegible]
[illegible] وعجز الحمد. سيدنا ومولانا
محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وعلى آله وصحابته اجمعين والحمد
لله رب العالمين

الورقة الأخيرة من المصورة رقم: 780 فيلم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

الحمد لله الفاتح الوهاب، الذي جلى عن بعض القلوب [illegible]
[illegible] الصواب، [illegible] حتى [illegible] من الأحباب
[illegible] الفقيه [illegible] عمت رحمته، ووسع
حكمته، وقهرت سطوته، لا إله إلا هو رب العرش الكريم
والصلاة والسلام على عروس الحضرة القدسية، وعين الرحمة
[illegible] ونور الأنبياء الذي برز [illegible] آدم والنبي [illegible]
اللهم صل عليه وعلى آله [illegible] الذي تجلت فيه أنوار الذات
الأزلية، ونعتت منه أسرار الصفات العلية، وتناهت وبه
حقائق الفردانية السرمدية، وكان على خلق عظيم، وبعد
فيقول [illegible] عبد ربه محمد بن محمد بن عبد الله [illegible]
[illegible] العلماء العاملين أهل التقوى والورع
والدين [illegible] أهل الاستبصار [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وعملوا على الإشكال
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الورقة الأولى من النسخة رقم: 80 ك (2405 فيلم)

الورقة الأخيرة من النسخة رقم: 80 ك (2405 فيلم)

محمد بن محمد بن عبد الله

المكودي

الإرشاد والتّبيان

في ردّ ما أنكره الرّؤساء من أهل

تطوان

تقديم و تحقيق

د. عبد المجيد بوكاري

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله الفاتح الوهاب، المزيح عن بعض القلوب [عشاها][25] فأبصرت الصواب، المهيء من شاء لطريق سلوكه حتى صار من الأحباب، وفاز بالنعيم المقيم. فسبحانه من إله عمت رحمته، وبهرت حكمته، وقهرت سطوته، لا إله إلا هو رب العرش الكريم. والصلاة والسلام على عروس الحضرة الربانية، وعين الرحمة المتوالية، ونور الأشياء التي برزت والتي هي آتية. اللهم صل عليه وعلى آله، الرؤوف الرحيم، الذي تجلت فيه أنوار الذات الأزلية، وتفجرت منه أسرار الصفات العلية، وتناهت فيه حقائق الفردانية السرمدية؛ فكان على خلق [كريم][26].

وبعد، فيقول مقيده عبد ربه محمد بن محمد بن عبد الله المكودي، لطف الله به: فلله يا معشر العلماء العاملين، أهل التقوى والورع والدين، بل ويا أهل الإيمان أجمعين: انظروا وحققوا، وتأملوا ودققوا، واصغوا لما أرسمه في هذه الأوراق، هل هو حق؛ أو لا بد له من الإحراق؟. إذ الحق أحق أن يتبع، وغيره يجتنب ويدع؛ فإن علماء أهل تطوان، والصلحاء منها والأعيان، دونوا وشيعوا، واتفقوا واجتمعوا، وعملوا على الإنكار على الفقراء وإذايتهم، وبالغوا في ذلك بالضرب والسجن والقهر على الرجوع عن أحوالهم، وادعوا في ذلك أنهم منتصرون للدين، ونهضتهم خالصة لله رب العالمين؛ فأردت أن أخاطبهم خطاب أولي الأذواق والأفهام، على رؤوس الأشهاد وبين العلماء الأئمة الأعلام. وسميته: **"الإرشاد والتبيان، في رد ما أنكره الرؤساء من أهل تطوان"**. فأقول وبالله أستجير، إنه على كل شئ قدير.

---

[25]- غشاها في "ب".
[26]- عظيم في" ب".

فصل:

المنتصر لله، لا يتعدى حدود الله، ولا يظلم عباد الله، ولا يهين المنتسبين إلى الله، وإنما يقوم بالظاهر امتثالا لأمر الله، وفي الباطن مفوضا لقدر الله، مستسلما لحكمه، مشفقا رحيما بخلقه، كما هو شأن أهل العلم بالله، الوارثين لرسول الله، الهم صل عليه وعلى آله، أشرف رسول جاءنا من عند الله. و[أيضا][27]لا يفرق بين الانتصار للنفس والانتصار لله، إلا من ملك نفسه وهواه، وكيف يخلص الانتصار لله لمن هو محصور في سجن [هوى][28] نفسه آناء الليل وأطراف النهار، يراقب الخلق ولا يبالي، ولا يراقب الحق فيما يوالي، وأيضا الآدمي شئ كبير، وهم لا يعرفون قدره ولا حقيقته، ولو عرفوه لبكوا على مقامه طول عمرهم، وقد قال أبو العباس المرسي، رضي الله عنه:" لو كشف عن حقيقة الولي لعُبد"[29]، ويأتي قوله:" لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض، فما بالك بنور المؤمن المطيع"[30].

وأيضا يجب عليهم أن يتوبوا إلى الله مما هم عليه من الغفلة، ليكونوا من أهل اليقظة، وينتصرون لا لأنفسهم، وحينئذ إن رأوا منكرا غيروه، وهنالك يكون إنكارهم نافعا، وكلامهم مقبولا؛ فينتفعون وينفعون غيرهم، وإلا فلا يقبل كلامهم، ولا تقوم حجتهم، بل الحجة عليهم لا على غيرهم﴿**أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**﴾[31]. والله، وهو سائلي، ووكيل علي ورقيبي، لقد تعدوا الحدود وطغوا، وظلموا عباد الله المخلصين وبغوا، وجاروا

---

[27]- زائدة في" ب".
[28]- ساقطة من "ب".
[29]- لطائف المنن، 95. وتمام قوله:"لأن أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته".
[30]- لطائف المنن، م.س، 95.
[31]- البقرة، 44.

عليهم جور حاسد معاند، [جمعٌ][32] وأي جمع، العلماء والصالحون والقائد. وسأبين ذلك وبه أنادي، كي يسمعه[ويراه][33] الحاضر والبادي،﴿**إن في ذلك لعبرة لمن يخشى**﴾[34]، ولعله يصل إليهم فيتوبون لله من ذلك، ويستغفرونه جل وعلا مما هنالك؛ فإن قالوا: كل ما فعلناه بهم بعض مما يستحقونه، ونزر يسير بالنسبة لما [يجتنونه][35]؛ فإنهم أفسدوا البلاد والعباد، وحادوا عن سنن الهدى إلى البدعة والفساد. كما سمعنا نحن ذلك منهم بآذاننا، وخاطبونا به يوم سجنا في وجوهنا. فأقول: حاشا ومعاذ الله أن تكون هذه الطريقة الدرقوية، على غير السنة المحمدية والملة الإبراهيمية. وكيف يتصفون بالبدعة والظلمة، وكثير منهم فقهاء في الكتاب والسنة [وطريق الرشاد][36]. وكيف يتحلى بالفساد من باع نفسه لرب العباد، أم كيف يفسد الأنام من شأنه[التلاوة و][37] الذكر على الدوام، وكثرة الصلاة على خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

نعم بعض الأمور تختلف باختلاف المقاصد "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"[38]؛ إذ هم أهل التجريد، وأصحاب خرق العوائد بين العبيد، فقد يظهر من بعضهم ما هو مخالف لظاهر الكتاب، فإن سئل عن وجه ذلك وأجاب، تبين أنه في غاية الحسن والصواب. ولأن الشريعة شريعتان: شريعة العموم، وشريعة الخصوص. ولا يعرف شريعة الخصوص إلا الخصوص.

---

[32]- ب: بجمع .

[33]- زائدة في"ب".

[34]- النازعات، 26.

[35]- ب: يجتنبونه .

[36]- ساقطة من"ب".

[37]- زائدة في"ب".

[38]- أخرجه البخاري في الصحيح (1: 8- 175، 9: 29)، وأبو داود في السنن (2201)، والترمذي في السنن (1647)، والنسائي في السنن (الطهارة) الإيمان والنذور، وابن كثير في البداية والنهاية، 10: 118، 11: 55، 14: 180).

وأيضا [فنحن][39] بشر، ولسنا بمعصومين، فقد يصدر من إنسان، ما هو مكروه أو محرم في بعض الأحيان؛ فيستغفر من حينه ويتوب لمولاه، وينقطع إليه ويصرف نظره لكل ما به يتولاه، وهذا شأن الأولياء والصالحين. ﴿**إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**﴾[40]. لعمري إن هذا لمحض سوء الظن بعباد الله، وسوء الظن بعباد الله من سوء الظن بالله، إذ حسن الظن بالله موجب لحسن الظن بعباد الله. وليت شعري أين فقه هؤلاء وعلمهم، وأين عملهم وصلاحهم، أما سمعوا قوله، صلى الله عليه وسلم:" خصلتان ليس فوقهما شئ من الخير: حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله. وخصلتان ليس فوقهما شئ من الشر: سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله"[41].

وكم من فقير بفاس، ما يرى عليه من باس، مع [عمارتها][42] بالفحول والأبطال والدواهي في العلم والعمل من الرجال، فما سمعنا منهم عارا، ولا تحققنا منهم إنكارا، فضلا عن [غيرها][43] من المدن والحواضر وسائر القرى والمداشر. وكذلك الملوك والحكام ما رأينا منهم سوى البرور والإكرام. فإن قالوا: إن سلمت تلك النواحي والبقاع، فأرضنا ونواحيها عامرة بالفساد والابتداع، لا سيما قبيلة أنجرا[44]، فالله يعوضها صبرا، ويكسبها أجرا. ووسمكم لنا بسوء الظن ذلك سوء ظن منكم بنا، إذ الأمر عندنا ثابت محقق، والإنكار في محله، وسوء الظن لا يكون مع التحقيق.

---

[39] - ب: نحن .
[40] - البقرة، 222.
[41] - ورد بهذا اللفظ في: " بشور الهدية في مذهب الصوفية"، لأبي عبد الله محمد العربي الدرقاوي، 96. ولم نعثر عليه في كتب الحديث.
[42] - ب: عمارته .
[43] - ب: غيره.
[44] - أنجرا: قبيلة على مشارف مضيق جبل طارق، وفي المنطقة الواقعة بين مدن طنجة وسبتة وتطوان. وهي تشكل إحدى قبائل ما يعرف في الفترة المعاصرة بجبالة. انظر: معلمة المغرب، 3: 817- 819.

فأقول، أخبرني بعض أهل القبيلة المذكورة أن فيهم من الفقراء عدد كثير، فلا تكاد ترى أحدا في المسجد إلا وهو يذكر الله، أو في السوق إلا وهو يذكر الله، أو في صنعة إلا وهو يذكر الله، أو في شغل من الأشغال إلا وهو يذكر الله. وحاشا ومعاذ الله أن يتفق الجم الغفير ممن حالهم هكذا على الضلالة، ويتصفون ويتحلون بالفساد والمخالفة. وعلى تقدير ثبوت ذلك عن بعضهم فلأي شئ تعرضوا لجميعهم، وآذوا كل من صادفوه منهم؟. وهل جاء قرآن أو حديث بعقوبة الأخيار، ومؤاخذتهم بما فعل الأشرار؟. قال تعالى:﴿**من يعمل سوء يجز به**﴾[45]. وأي شئ فعل العالم الأكبر، الحجة الأشهر، ذو الأخلاق الزكية والأحوال المرضية، الشريف الجليل، الصوفي الحفيل، سيدي أحمد بن عجيبة[46]؟ وما ذنبه الذي استحق به السجن والقهر على الرجوع عن حاله، والإشهاد عليه بذلك، واللوم والتوبيخ في مجلس أولئك العلماء [والصلحاء][47]، مع أنهم لو أنصفوا لجثوا على الركب بين يديه طول عمرهم. ووالله لقد تعرضوا لغضب الله، وغضب رسول الله، وغضب كل من تخلق بأخلاقه، صلى الله عليه وسلم، من أهل الله. فإن قالوا: إنهم رأوا منه ما يخالف الشريعة المطهرة، وارتكابه لأمور[من][48] البدع المحرمة.

فأقول: هو أعرف منهم بالشريعة، وأشدهم عملا بالطريقة والحقيقة. وكيف لا وذكره مؤبد، وعمله مسرمد، وعلمه مجدد، " من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم"،﴿**واتقوا الله ويعلمكم الله**﴾[49]. ولو عمل بشريعة خاصة ليس لهم علم بها، فضلا عن العمل بها. فمن أين للأعمى أن ينكر على البصير،"والمنتسب إلى الله لا

---

[45]- النساء، 123.

[46]- أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة الأنجري (ت. 1224هـ/ 1809م)، صوفي شهير، دفين قبيلة أنجرا قرب مدينة تطوان. له مؤلفات في طريق القوم وشعر في الأذواق. له فهرسة. وممن ترجم له: إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7: 2482، وتذكرة المحسنين، 7: 2483.

[47]- سقطت من "ب".

[48]- زائدة في "ب".

[49]- البقرة، 282.

ينبغي أن ينكر عليه إلا المحرم المجمع على تحريمه، وغيره ينظر بعين الاعتذار، ويتغافل عنه بما أمكن[50]. ألم يسمعوا قوله تعالى:﴿**الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة**﴾[51]. قاله الإمام السنوسي[52]، رحمه الله تعالى.

وليتأملوا فيما قاله الشعراني، في السؤال، لكي يظهر لهم أنهم لا يعرفون أحوال الرجال، إذ من أعظم ما ينكرون من أحوالهم السؤال، ونصه: "واعلم أن المروءة من الإيمان، ولا مروءة لمن يسأل الناس وهو قادر على الكسب، فمن أراد العمل بهذا العهد فليسلك طريق القوم على يد شيخ صادق، يسير به حتى يدخله حضرة اليقين، ويرى أهلها ويخالطهم ويصير معتمدا على الله تعالى [لا على الكسب ولا على أحد من الخلق، وهناك لا يضره سؤال إن شاء الله تعالى][53] لأنه حينئذ إنما يسأل من الله، والخلق أبواب للحق، فهو مع رب الدار لا مع الدار ولا مع بابها. ومن لم يسلك على يد شيخ فغالب أحواله علل، فإن سأل كان لعلة، وإن ترك كان لعلة، والله تعالى أعلم"[54].

وهذا قليل من كثير، ومن أراد الشفاء فيما يشهد لأحوال الفقراء فليطالع "الرسالة العلمية في طريق الفقراء المتجردين من الصوفية"[55]، واختصار بن ليون التجيبي[56] لها[57]، وهو حسن وغير ذلك من كتب القوم.

---

[50]- نصرة الفقير: كما أمكنه.
[51]- النجم، 32.
[52]- نصرة الفقير، ورقة 43أ.
[53]- العبارة من "ب".
[54]- لواقح الأنوار في طبقات السادة الأخيار، 549- 550.
[55]- الرسالة العلمية في طريق الفقراء المتجردين من الصوفية، لأبي الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري الأندلسي المتوفى سنة 668هـ/ 1269م، انظر: إيضاح المكنون، 566.
[56]- أبو عثمان، سعيد بن أحمد، ابن ليون التجيبي الأندلسي، (ت. 750هـ/ 1350م).
[57]- سماه: الإنالة العلمية من الرسالة العلمية في طريق الفقراء من الصوفية. مخطوط.

قال في المباحث[58]:

حكم السؤال عندهم مشروع   طورا، وطورا عندهم ممنوع[59]

وقد يكون مندوبا، ويكون واجبا، ولا يعرف ذلك إلا هم، وكذلك سائر أحوالهم، رضي الله عنهم.

---

[58]- وهي عبارة عن منظومة في التصوف، تسمى: "المباحث الأصلية عن جملة الطريقة الصوفية"، لأبي عبد الله محمد بن محمد، ابن البناء السرقسطي (ت741هـ/1340م). انظر: معجم سركيس، 170، الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية لابن عجيبة (بذيل إيقاظ الهمم، 5)، ألف سنة من الوفيات، 193. وقد شرحها أعلام كثيرون، مثل: سيدي أحمد زروق (899هـ/ 1493م)، ومحمد بن علي الشطيبي (ت. 963هـ/ 1555م)؛ وسماه: " الإشارة السنية فى شرح المباحث الأصلية عن جملة الطريقة الصوفية"، وشرحها سيدي أحمد ابن عجيبة (ت. 1266هـ/)، وسماه " الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية".

[59]- ابن البناء، المباحث الأصلية (ضمن الحكم الثامن في السؤال عند الحاجة).

فصل:

قال اليافعي:" وليس بين المنكر عليهم، وبين ترك الإنكار من الفقهاء والجهال، إلا أن يذوق راح المحبة الذي ذاقوه عند مشاهدة الجمال؛ فيصير صوفيا، شاء أو أبى، ويخلع العذار، وينشد لسان حاله ما قاله شارب العقار:

سقوني وقالوا: لا تغن، ولو سقوا	جبال حنين، ما سقوني، لغنتي

قلت، ولا يشرب الخمر العتيق، إلا من تمسك بالطريق، ولا يذوق طعم التجريد، إلا المتواضع لله بين العبيد، ولا يعرف أحوال الفقراء، إلا من باع نفسه للكبراء، ومن لم يسلك على يد العارفين، فلا يزال ينكر على المنتسبين، ولا تنقطع حججه أبد الأبدين. ورحم الله سيدي عبد الوارث بن عبد الله اليلصوتي[60]، حيث قال في قصيدة له:

فيـــا لائمي فيهـــا لو بـان جمالهـــا	لأعينكم يـــوما فـيهـا تــعـــــذرون
ولكنكم صم بـــــكم، وقلوبكم غلـف	عن سمـــاع الحـق فاعــــتزلــون
فلو عطفت يومـــا عليـــكم بوصلها	أرتـكم جمـــالا فـيـه تتبـــعـــون
وهان عليـــكم ما تركتم من أهلكـم	وأمـــوالكـم فيها، ولكـــن دعــون
دعوني وإياها، أهيـــم بهـــا فـــلا	أبالي بما قلتـم، ولـــو لمــتـمــون

60- عبد الوارث بن عبد الله اليلصوتي، أبو البقاء، (ت. 971هـ/ 1563م)، أصله من بني يلصوت من قبائل غمارة. له تآليف عديدة في التصوف. ترجمته في: دوحة الناشر، 14- 15، مرآة المحاسن، 210- 211، ممتع الأسماع، 79- 80.

ولنا في هذا المعنى:

فيا لائمي في حب ليـــلى، تجاهــلا … أقل نفسك العــــذل، فما هو نافــع
أهيم بها مـــا عشت وجـــدا لأنهــا … أرتني مــن الحسن البديـع لوامـــع
سقتني من الصـهباء صرفا ولو سقت … جبالا من الصخر لعـادت صـوادع
فوالله مـا في الكون حسن يضاهيها[61] … ولولا هواها مـا ترنـم والـــــع
فما غنت الأطيـــار إلا بذكرهـــا … ومن حسنها الأحـجار مالت تدافـع
فمن لم يذق طعم الغرام تهتكـــا … ووجـدا بنار، قد حوتهـا الأضـالـع
لعمري ضاعت منه الأيـام، وما لـه … نصيب من الدنيا، وأخراه ضائـــع
فإن شئت أن تحظى بطلعة وجهــه[62] … تقــــدم وإلا فـــالمتيـم خاضــع

لطيفة:

في الباب الثالث والستين ومائتين من "الفتوحات المكية"[63]، ما نصه:"واعلم أن الشريعة هي عين الحقيقة، [لكن][64] الشريعة لها دائرتان: عليا وسفلى، فالعليا لأهل الكشف، والسفلى لأهل الفكر. فلما فتش أهل الفكر على ما قال أهل الكشف، [ولم][65] يجدوا في دائرة فكرهم، قالوا: هذا خارج عن الشريعة؛ فأهل الفكر ينكرون على أهل الكشف، وأهل الكشف لا ينكرون على أهل الفكر. فمن كان ذا كشف وفكر فهو حكيم الزمان"، نقله الشعراني في "الجواهر"[66]. وقال في "الأجوبة المرضية": " وكان المجد الفيروزبادي، صاحب القاموس، يقول: " ترقى القوم في مقامات العلم إلى أن بلغوا العلم المجهول الذي لم يَرِد به صريح كتاب ولا سنة،

---

[61]- س: يضاهيا.
[62]- س: وجهها.
[63]- الفتوحات المكية، 4: 219.
[64]-"ب"و"س" : اذ.
[65]- "ب" و"س" : فلم.
[66]- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، 42.

ولكن الأكابر من العلماء قد يردون ذلك إلى الكتاب والسنة بطريق دقيق، لا يشعر به غالب الناس لحسن استنباط هؤلاء العلماء، وحسن ظنهم بالعباد. وكان أبو تراب النخشبي[67]، رضي الله عنه، يقول:"إياكم والإنكار على القوم بمجرد الإشاعة عنهم أنهم خالفوا السنة في شئ، فربما كانوا على السنة وأنتم لا تشعرون لدقة مداركهم". قال:" ولقد أنصف سيدنا ومولانا الشيخ مجد الدين الفيروزابادي حيث قال: "لا ينبغي لأهل الفكر والنظر الاعتراض على أهل العطايا والمنح بفهمهم السقيم؛ فإن علوم هؤلاء القوم فوق علوم النظر". ثم قال:" وقد روى الطبراني مرفوعا: " إن شريعتي جاءت على ثلاثمائة وستين طريقة، وما من طريق يسلكها العبد المؤمن إلا اهتدى ونجا من عذاب النار[68]"[69].

فلله يا أهل الحق هل [إنكار أهل تطوان][70] هذا ناشئا عن علم، أو عن جهل؟ بل والله إنه لعنْ جهل، إذ العلم نور، وظلم العباد ظلمة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم:" الظلم ظلمات"[71]. والظلمة والنور لا يجتمعان، وإن ادعوا أنه عن علم، فهل علمهم مقيد بمذهب مالك، أو تجاوز[72] المذاهب الأربعة[73]، إلى مذهب الثوري، والأوزاعي، وعطاء، وابن جريج، وعكرمة، ومجاهد، ومعمرو، وعبد الرزاق، والبخاري، ومسلم، وابن جرير، وابن خزيمة، وابن المنذر، وطاووس، والنخعي، وقتادة، وغيرهم من التابعين وأتباعهم إلى مذاهب الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين، إذ لا يليق الإنكار إلا ممن أحاط بمذاهب هؤلاء وغيرهم، ولا ينكر على

---

[67]- أبو تراب، عسكر بن حصين، النخشبي (ت. 245هـ/ 859م). ترجمه: الرسالة القشيرية، 436، طبقات السلمي، 124- 128.

[68]- الحديث رواه الطبراني.

[69]- الأجوبة المرضية، 248.

[70]- س: كان إنكارهم.

[71]- أخرجه البخاري، (كتاب المظالم والغصب، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، 2: 269)، ومسلم، (كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم: 57).

[72]- ب: تجاوزوا.

[73]- "ب"و"س": الأربع.

أهل [الانتساب إلى][74] الله إلا ما خرج عن مذاهب هؤلاء وغيرهم. والسلامة عند الفضلاء[75] أبدا مقدمة على الغنيمة.

قال في "حل الرموز": " وقد بلغنا عن قضيب البان، وكان عظيم الشأن بالموصل، وكان قد برز للناس بالبله[76] والاختلال، وترك الصلوات، لا يأوي إلا إلى المزابل، ولا يتوقى نجاسة، والناس متحيرون في حاله، مختلفون في أمره؛ فقوم يقولون: صديق، وقوم يقولون: زنديق. فبينما قاضي المدينة، يوما من الأيام، مارا إلى داره إذ رآه على مزبلة وقد بال على ساقيه؛ فقال القاضي، في نفسه:" تبا لمن جعل هذا[77] صديقا، وإنما هو زنديق؛ فما استتم الخاطر حتى قال له قضيب البان: أيها القاضي، هل أحطت بعلم الله؟. قال: لا والله، قال: فأنا من ذلك العلم الذي لا تعلمه، وما عليك إن كنت صديقا أو زنديقا"[78].

وقال الشعراني في منته الكبرى:" ومما من الله به علي تصديقي للصالحين في كل ما يخبرون به من الأمور التي تستحيلها[79] العقول عادة، ولم أزل أصدقهم في ذلك من حين كنت صغيرا، وكل شئ لم أتعقله جعلته من جملة العلم الذي لم أعرفه، ولا أكذب إلا ما خالف النصوص الصريحة، أو خرق إجماع المسلمين"[80]. وقال فيها أيضا:" ومما أنعم الله به علي حفظ الأدب مع سائر المسلمين على اختلاف طبقاتهم، فكل مسلم رأيته أقول: يحتمل هذا أن يكون وليا لله عز وجل، فإن الله ستر أولياءه في عباده، وما أظهر منهم إلا القليل من أهل الكرامات المعتادة، وما عداهم فهم مستورون في حجب الصون، لا يكاد يظهر على أحدهم ما يميزه

74- سقطت من "ب"و"س".
75- س: العقلاء.
76- حل الرموز: بالوله.
77- حل الرموز: جعلك.
78- عز الدين بن عبد السلام، حل الرموز ومفاتيح الكنوز، ورقة 3أ. (مخطوط الخزانة الحسنية، 3205).
79- المنن: تحيلها.
80- الشعراني، المنن الكبرى، 363.

عن العامة، كما صرح القوم بذلك في رسائلهم. وقد كتب لي أخي أفضل الدين وصية أول اجتماعي بسيدي على الخواص، رضي الله عنه، يحثني فيها على كثرة الاعتقاد في عامة المسلمين، وعدم إقامة الموازين الدقيقة عليهم، من جملتها: أوصيك يا أخي أن لا تميل بنفسك إلى تفضيل أحد على أحد، واعتقد الخير في عموم الناس، فإن الله تعالى، لا يسألك قط لم حسنت ظنك بعبادي؟. وإياك أن تزدري أحدا من السوقة، كالجمالين والحمارين والحمالين والبغالين والزبالين، وسائر من فيه نفع لعباد الله [من غير ضرر][81]؛ فإنهم محفوظون بالاسم الأعظم، وفيهم المتخلقون بالأدب مع الله تعالى، ومع الكون، وإن كانوا لا يشعرون بذلك. قال:" وقد أوصى الإمام علي، رضي الله تعالى عنه، ولده الحسين[82] بمثل ذلك، وقال: اعلم يا ولدي أن الله تعالى أخفى رضاه في طاعته، وأخفى سخطه في معصيته، وأخفى أولياءه في عباده؛ فلا تستصغرن من الطاعة[83] شيئا، فربما كان رضى الحق تعالى في ذلك، ولا تستصغرن من[المعصية شيئا فربما كان سخط الحق تعالى في ذلك، ولا تحقرن من][84] المسلمين أحدا فربما كان وليا لله عز وجل"[85].

فلله عليهم هل رأوا من سيدي أحمد بن عجيبة ما خالف النصوص الصريحة؟ أو خرق إجماع المسلمين مثل شرب الخمر والزنا واللواط وأكل أموال اليتامى، وغير ذلك؟. وهل رأوه ظلم أحدا أو شتمه، أو تعدى عليه في أخذ مال أو غيره؟. نعم رأوه يلبس المرقعة، ويركب الحمار، ويمشي بالحفا، ويكشف رأسه، ويتذلل لله في عباده بالسؤال وغيره. وهذا وشبهه مما يدل على إخلاصه، وعلو

[81] - سقطت من: "ب" و"ح".
[82] - الحسن في:"ح".
[83] - ح: الطاعات.
[84] - العبارة من "ب". سقطت من "س".
[85] - الشعراني، المنن الكبرى، م. س، 1: 270.

منصبه عند خالقه، إذ هذه الأحوال عند أهل الإخلاص كلها نسك، ولها أصل عند أشياخ الطريق، ولابن الفارض من قصيدة لامية:

تمسكْ بأذيال الهوَى، واخلع الحيا وخـــل سبيل الناسكين وإن جـــلُّوا

وقل لقتــــيل الحب: وفيت حقـه وللمدعي: هيهات ما انكحل[86] الكحل[87]

وأي شئ رأوا من فقهاء تازا[88] واغزاوا[89] وغيرهم، الذين لم يستقر بهم المجلس إلا إلى السجن؟. فهذا والله يحقق سوء ظنهم، وعجبهم وحسدهم، وتكبرهم على أبناء جنسهم، وخوفهم[على][90] السقوط من أعينهم، فأرادوا أن يطفئوا نور الله بأقوالهم وأفعالهم،﴿ **ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام**﴾[91].

86- س: الحكل. وفي الديوان: ما الكحْل.

87- الديوان، 69.

88- تازة: مدينة تقع وسط ممر يصل المغرب الشرقي بالمغرب الغربي. انظر: معلمة المغرب، 19: 2023.

89- غزاوة: قبيلة تقع شمال مدينة وزان، تتألف من ثلاث فرق كبرى هي: بني مدارسن، وبني فلغوم، وبني عمر. وأكبر قراها الحرايق مقر الزاوية البقالية. انظر: معلمة المغرب، 19: 6341.

90- زائدة في "ب" و"س".

91- الزمر، 37.

فصل:

وها أنا أحكي الأمر على وجهه، وأذكره من أوله إلى آخره،﴿ **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾[92].

اعلم أن الشيخ مولانا العربي[93]، رضي الله عنه، بعثنا لزيارة مولانا عبد السلام بن مشيش[94]، نفعنا الله به، ولزيارة الإخوان بتطوان، فانصرفنا وزرنا. فلما انحدرنا إلى تطوان، لقينا الخبر بأن سيدي أحمد بن عجيبة، ومن معه من الإخوان، في السجن، فقلنا لابد من زيارتهم لله، سواء كانوا في السجن أو في غيره، سيما وقد أمرنا بذلك. وكنا أحد[95] عشر فقيرا، بينة تنقص واحدا: فينا أهل الفقه والعلم الظاهر، والقراء أهل السبع، وأهل البصري والمكي ونافع، وكلهم بعون الله فقهاء في الباطن، لاكنهم[96] متفاوتون، وفينا من هو شريف النسب الطيني. وكلهم، بحمد الله، شرفاء من جهة النسب الديني﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[97].

فلما وصلنا الوادي المسمى بوصفيحة توضأنا وصلينا الظهر، وقصدنا المدينة على ذكر ويقظة، وسكون ووقار، فدخلنا على الباب، فلم نصل الحداد[98] حتى اجتمعت علينا هيلولة عظيمة من الرجال والصبيان، وهم يقولون: هاهم،

---

[92]- ق، 37.

[93]- أبو عبد الله محمد العربى بن أحمد الحسني، المعروف بمولاي العربي الدرقاوي(1239هـ/ 1823م). ترجمه في: مقدمة رسائل مولاي العربي الدرقاوي، ط. حجرية- فاس. أحمد زويتن، "المناجاة الفردية في تبيين عزائم الطريقة المحمدية"، المعسكري، "كنز الأسرار في مناقب العربي الدرقاوي وأصحابه الأخيار"، مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط، 2841 ك، م. الحجوي، "طب الأنفاس"، مخطوط، ص 338. وكذلك محمد الشياظمي، معلمة المغرب، 12، ص 4013- 4014.

[94]- سيدي عبد السلام بن مشيش واختلف في تاريخ وفاته. ترجمه في: مرأة المحاسن، 249 و 260، ومواضع أخرى، "الاستشفاء من الألم بذكر صاحب العلم"، لابن زاكور (خ)، الروضة المقصودة،2: 475.

[95]- س: إحدى.

[96]- س: لأنهم.

[97]- الحجرات، 13.

[98]- "س" و"م": الحدادين.

هاهم؛ ونحن على حالنا من السكون، وكل واحد يذكر الله في نفسه؛ فلم نشعروا إلا واثنان وعشرون من الزبانية قد أحاطت بنا، اثنان مع كل واحد، كأننا محاربون لله ولرسوله، أو نصارى صادفوهم يتسورون المدينة؛ فانصرفوا بنا إلى باب دار القائد، وأوقفونا حتى خرج إنسان يقال له: أحمد الزواق، عامل حوزي، وهو الذي كان يدخل علينا في السجن ويخرج، وهو الذي كان يتوسط بيننا وبين القائد في الكلام، فقال لنا بعنف عظيم: أين كبيركم ومقدمكم؟. فقلت له: نحن إخوان كلنا في الحق سواء، فقال: من أي بلد أنتم؟. فقلت له: من تازا واغزاوا وغيرهما، فقال: إلى أين تريدون؟. فقلت: زيارة مولانا عبد السلام بن مشيش ومن بتطوان من الإخوان وغيرهم، فقال: جئتم تحنشون المسلمين؛ والتفت إلى أصحابه، وقال: هاتوا العصا، هاتوا ازفل، فجاءوا يهرولون، وهو يزبد ويرعد، وينطق بكلام يليق بأمثاله، ثم نزع عن كل واحد منا سبحته ومرقعته وعكازه، ودخل بجميع ذلك للقائد، ثم خرج وأمر بنا إلى السجن، فوجدنا سيدي أحمد بن عجيبة ومن معه، ولهم ثلاثة أيام في السجن، وقد ضرب جلهم، ضربهم الزواق المذكور. وقهروا على الرجوع، فأشهد سيدي أحمد على نفسه هو وأخوه قهرا، وخرجا وبقينا نحن والإخوان الذين كانوا معهما. ثم إن الزواق دخل علينا، وقال: يقول لكم القائد: إن شئتم أن ترجعوا عن طريقة البدعة إلى السنة، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الشك إلى اليقين، وتتوبون إلى الله، وتنزعون المرقعات، وتشهدون على أنفسكم أمام العلماء وسيدي علي بن ريسون[99]، كما فعل سيدي أحمد عجيبة وأخوه[100]، فإنكم تذهبون بسلام ولا بأس عليكم؛ وإن أبيتم وامتنعتم فلا تلوموا إلا أنفسكم، السجن والقنب والماء، فقلت

[99]- علي بن محمد بن علي بن ريسون، (ت. 1229هـ/ 1813م). صاحب الزاوية الشهيرة، وهو والد سيدي عبد السلام بن ريسون. ينظر: تاريخ تطوان، 3: 203، 6: 261، إتحاف أعلام الناس، 4: 182- 349، م. بوخبزة، معلمة المغرب، 13: 4518.

[100]- س: وأخيه.

له[101]. فقراء أرضك وبلدك، إن فعلوا شيئا بينك وبينهم، وأما نحن فليس بيننا وبينك كلام ولا سلام، لسنا من أرضك ولا قائمين بها، وليس[لجمع][102] العلماء ولا لسيدي علي بن ريسون ما يحكمون به علينا ولا ما يشهدون به فينا، إذ ليس لهم معرفة بنا، ولا رأيناهم ولا رأونا، إنما نحن زيار أضياف ليلة أو ليلتين، فخل سبيلنا، ودع عنك التفتيش في أحوالنا.

حدثني بعض الثقات، من طلبة القصر، وكان حاضرا في ذلك الجمع، أن القائد الصريدي[103]، لما أخبره الزواق بهذا الكلام همَّ أن يطلقنا، فقال له العلماء: إن أطلقتهم فما جئت بشيء، فإن هؤلاء إن رجعوا فالفقراء كلهم يرجعون. وأخبرني أنه قال للقائد: عهدي بالحكام يخافون من خيالهم، فما بالك أنت تتعرض للمنسوبين؛ فقال له: ليس لي رأي، إنما الرأي رأي العلماء. قال: فقلت:﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾. كيف انعكس الحال من حق العلماء، ومن شأنهم أن يكونوا أرحم الناس، وأرأف الناس، وأحلمهم وألينهم، وأحراهم في ذلك سيدي علي بن ريسون، فإذا هم أشد قسوة، وأعظم غلظة من الصريدي.

قلت، فلله يا أئمة الأمة الشريفة، وأهل البواطن المنورة والقلوب السليمة، هل هذا فعل الحماة للدين؟. أو فعل الجبابرة المتكبرين؟. وهل فعلهم هذا يصدقهم فيما نسبوا للفقراء، أو [يكذبهم][104] فيما أضافوه للسادات الكبراء؟. وحين كانوا هكذا فأي شيء يمنعهم من الزور والتعرض للنفاق والفجور إلا أن يمن الكريم ويرحم الرحمن الرحيم.

---

[101] - س: + قل للقائد.
[102] - ب: بجمع .
[103] - حمان الصريدي، تولى قيادة تطوان. ينظر: عمدة الراوين، 2: 66، تاريخ تطوان، 3: 203. إتحاف أعلام الناس، 5: 227.
[104] - ب: يكذبوهم .

ثم إن الزواق جاء وقال: أين فيكم الفقيه الفاسي؟. فأشرنا إلى سيدي أحمد الكوهن[105]، فقال: تكلم للقائد، فقلت: أريد المشي معه، فقال: إنه لا يريد غيره، فانصرف معه حتى أدخله على القائد وجماعة العلماء منهم: الفقيه الورزيزي[106]، والفقيه الجنوي[107]، والفقيه ابن الصادق[108]، والفقيه عبد الجليل البقال[109]، والفقيه المشهور بالرشاي[110] وغيرهم؛ ومعهم سيدي علي بن ريسون[111]، فجعلوا يتكلمون معه وهو ساكت، فقال له القائد: تكلم مع العلماء، فقال له: يستحيي الإنسان أن يتكلم في هذا المجلس العظيم، فقال له: لابد أن تتكلم، فقال: إن كان ولا بد فليتكلم معي واحد، وغيره يسكت ويسمع، ليظهر الحق ويتميز، فقال القائد: هذا صواب؛ فتقدم واحد، وقال : أنا أتكلم معه، وجعل يتكلم، وأطلق لسانه بالذم في أحوال الفقراء، فقال له سيدي أحمد: هذه الأحوال التي أطلقت لسانك بالذم فيها نرجع فيها لأحوال النبي، صلى الله عليه وسلم، وأقواله، وأحوال الصحابة والتابعين، فكل ما له شاهد مما ذكرنا فلا ينبغي لك ولا لغيرك ذمه؛ وما ليس له شاهد فلا يليق بنا مدحه ولا ارتكابه، فقال: نعم. فلما جعل يبين له أحوال النبي، صلى الله عليه وسلم، وظهر له أن في ذلك شاهدا[112] لبطلان ما أنكره، وتيقن أنه قد أفحمه، وبالحجة الصحيحة قد قطعه، قال له: أترك عنا أحوال النبي، صلى الله عليه وسلم، ليلا [نقع في

---

[105]- أحمد بن محمد الكوهن، والد عبد القادر بن أحمد الكوهن الفاسي.(ت.-1254هـ/ 1838م)، مؤلف "إمداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والإسناد". (ط).

[106]- محمد بن علي الورزيزي (ت.1210هـ/ 1795م)، وهو من أشياخ ابن عجيبة. ينظر : أزهار البستان،328.

[107]- محمد بن محمد بن الحسن الجنوي العمراني الحسني التطواني، (ت.1214هـ/ 99- 1800م). تولى الخطابة والتدريس بجامع العيون من تطوان. ينظر أزهار البستان 330، تاريخ تطوان، 6: 195، م. بوخبزة، معلمة المغرب، 9: 3117.

[108]- محمد بن الصادق بن أحمد الحسني العلمي بن ريسون (ت. 1234 هـ/ 1724م). وصفه مترجموه بالعلم والمشاركة. ينظر: الشرب المحتضر،51 (ط)، النعيم المقيم، 1: 158- 160، تاريخ تطوان، 3: 206. و6: 266، م. بوخبزة، معلمة المغرب، 13: 4520- 4521.

[109]- عبد الجليل البقال، فقيه تطواني،(1219هـ/ 1804م)، زاول الإفتاء بمدينته من سنة 1186هـ/ 1772م إلى أن وافته منيته بها.

[110]- أحمد الرشاي (ت. 1210هـ/ 1795م). وهو من أشياخ ابن عجيبة. ينظر: أزهار البستان329.

[111]- سبقت ترجمته.

[112]- "ب"و"س": شاهد.

الكفر][113]، وتكلم في غير ذلك، فقال له: إن كنا لا ننظر إلى أحوال النبي، صلى الله عليه وسلم، ونقتدي به فبمن نقتدي؟. فتكلم آخر، وقال: أنا أجاوبه. فأدى الحال إلى أن صاروا يتكلمون كلهم. فلما طال الكلام، ورأى أجوبتهم واهية، وحججهم داحضة، وعلم أنهم لا يريدون تبيين الحق ولا ظهوره، قال لهم: كنت أظن أن عقولكم أكبر من هذا، إذ هي عقول العلماء، فإذا أنتم هكذا، فإنا لله وإنا إليه راجعون. فتلونوا وتغيرت وجوههم. فلما رأى القائد منهم ذلك قال له: تتجاسر على العلماء، ارفعوه للسجن، واجعلوا عليه سلسلة، فرفعوه وهرولوا به كأنه سب أبا بكر وعمر؛ فما وصلوا به إلى السجن إلا وهو يلهث، وقد كان متعوبا بالسفر والصوم، إذ كان رمضان ودخلنا على صوم. فأخذوا سلسلة عظيمة وجعلوها في عنقه، فقلت له: اعرف حالك، واثبت مع مولاك، فالحمد لله الذي جعل لنا شبها بالقوم. ثم دخل الزواق علينا، فلا تسأل عما كان يبرز على لسانه، نسأل الله السلامة بمنه، وهو[114] يخاطب سيدي أحمد، ويقول له: أنت الشيطان المريد، والله لقد سمعته مرتين أو ثلاثا يسب شيخنا الكامل، وغزيرنا الوابل، فريد عصره، وإمام وقته، الأستاذ الجليل، الصوفي الحفيل، أبو المعالي، سيدي ومولاي العربي بن أحمد الدرقاوي، والشريف الحسني، الذي قيل في مثله:"لولا المربي ما عرفت ربي"، رضي الله تعالى عنه. ثم لا يزال يتردد إلينا، وهو يهددنا بالضرب، وجعل السلاسل في أعناقنا، ويسمعنا الكلام القبيح، هو ومن هنالك[115] من السجانين إلى المغرب. فدخل فوجدنا نقرأ الحزب بنحو العشرين فقيرا من غير الطلبة المسجونين؛ فجلس إلى أن فرغنا، وتقدم فحط أمامنا خبزا، وجعل يوسوس لنا في صورة ناصح، ويقول: يا فقراء، أنا أخوكم، أقرأ القرآن، وإني لشفيق عليكم ورحيم

113- "ب"و"س": نكفر.
114- س: وكان.
115- "ب"و"س": هناك.

بكم، فلم تتعرضون[116] إلى الهلاك بارتكاب البدع، وأنتم كلكم تقرأون القرآن؟ فارفقوا بأنفسكم، وارجعوا عن أحوالكم، وتوبوا إلى بارئكم، وإن شئتم الثياب فالقائد يعطيكم ما تحتاجون إليه. فقلنا له: اعرف ما تقول، واسمع ما نقول لك: نحن قوم صرفنا نظرنا إلى الحق، وليس لنا التفات إلى الخلق؛ إذ من آثر على الله سواه، فما قام بحق عبودية مولاه، وحالتنا هذه حالة حق وصواب، مؤسسة على السنة والكتاب، تعبدنا بها لرب العالمين، فلا نتركها مراقبة للحاسدين، ولا خوفا من أفعال[117] الظالمين، فافعلوا ما شئتم، وقولوا ما بدا لكم. فقام يسخط وينخط، ويذم ويحط. فبتنا ليلتنا تلك إلى الصباح، في عافية وشكر لمولانا الفتاح. ثم إنهم بعثوا الفقيه عبد الجليل البقال إلى سيدي أحمد لباب السجن، وقال له: "إن القائد يقول لك: أنت فقيه، ولست بأهل للامتحان، ولا طاقة لك على السجن والضرب، فاشهد على نفسك بالرجوع، واخرج لتستريح"، فقال: "هل عندكم ما تقولون غير هذا؟[فها][118] نحن تحت أيديكم، وما شئتم فافعلوه". ثم إنه أخذ بثوب سيدي أحمد، وقال له:[لله][119] يا سيدي[120] أحمد، ما هذا اللباس؟" فأخذ سيدي أحمد ببرنوس الفقيه المذكور، وكان أزرق يشبه لباس أهل النار، [إذ قيل: إن لباسهم أزرق][121] فقال له: "يا سيدي[122]، وأنت ما هذا اللباس؟. وشهادتك لله، هل ثبت عنه صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة أنهم لبسوه أو مثله؟". فقال: "لا"، فقال له: "ولأي شئ تنكر وتعيب الذي ثبت عنه، صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة أهم لبسوا شبهه؟".

---

[116]- س: يتعرضون.
[117]- س: فعل.
[118]- زيادة من: ب.
[119]- زيادة من: ب.
[120]- سقطت من : ب.
[121]- ما بين معقوفتين زيادة من: "ب"و"س".
[122]- سقطت من"س".

فسكت، ولم يجد جوابا، فقال بعض من كان يسمع: "الحق ما قال لك"؛ فالتفت إلى السجان، وقال له: "اضرب الناس ينصرفون عنا".

وبالجملة فما كان مرادهم إلا أن يصرفونا[123] عن الطريقة، ويصرفونا عن نهج الحقيقة حسدا من عند أنفسهم واستكبارا، وتصغيرا لغيرهم واحتقارا، وأبى الله إلا أن ينصر من نصره، وعلى دين الحق أن يظهره. فلما أيسوا من ذلك، ولم يروا منا إسعافا لما هنالك، أرسلوا وراء سيدي أحمد، فلما دخل عليهم قالوا له: ليس هذا الذي تكلمنا معك فيه هو المقصود بالذات، فقال: وما مرادكم؟. قالوا[124]: النهي عما يصدر من بعض الفقراء، مثل اجتماع النساء والرجال، ونهب أموال الناس، وكثرة الإلحاح في السؤال؛ فقال لهم: نحن لا نوافق على هذه الأمور وشبهها، ولا نقدر على سماعها، ومن ثبت عنه شيء من ذلك فليؤاخذ به ويؤدب عليه. فقالوا له: اكتب لنا ذلك، فكتب لهم: "الحمد لله القريب المجيب، وصلى الله على سيدنا محمد الحبيب. وبعد، فيقول كاتبه أحمد بن محمد الكوهن[125]: نحن على السنة المحمدية، مجتنبون للبدعة والظلمة، وما يذكر عن بعض الفقراء من اختلاط النساء والرجال، ونهب أموال الناس، وكثرة الإلحاح في السؤال، فنحن ميرأون، بفضل الله، من ذلك، ومن ظهر عليه شئ فليؤاخذ به". هـ لفظ ما أخبرني به كاتبه أو قريب منه. وبهذا يتبين لك أنهم مضروبون في الرأس، وأن خبطهم مجرد الزيغ والهوس، لم يعولوا على حاصل، ولم يظفروا بطائل. ولله در الفقيه الأديب النحرير، أبي الربيع سليمان الحوات[126] الشريف الحسني الشفشاوني، حيث قال مخاطبا لسيدي علي بن ريسون، إذ هو أحق والله باللوم والنصح من غيره: [الطويل]

---

[123]- "ب"و"س": يردونا.

[124]- أ: قال، والصواب أثبتناه من: ب.

[125]- س: كوهن.

[126]- أبو الربيع سليمان بن محمد الحوات الشفشاوني (1231هـ/ 1816). برز في التاريخ والأدب واللغة وعلم الأنساب. له مؤلفات. ترجمته في: "ثمرة أنسي في التعريف بنفسي" للحوات، سلوة الأنفاس، 3: 116، إتحاف المطالع، ضمن موسوعة أعلام المغرب، 7: 2497، مؤرخو الشرفا، 241.

أبا حسن كن مثل والدك الذي ... تغيب في سكر الشهود عن الحس
وإلا فأصلح منك بالزهد فاسدا ... وكن واثقا بالموت؛ يصبح أو يمسي
ولا تعترض ما لست تعلم حكمه ... ودع عنك حظ النفس، والرجم بالحدس
وأنصف ولا تجحد، إذا كنت عالما ... بغيب[127] غد، كعلم ما مر بالأمس
فما بالكم تسعون سعي معارض ... لطائفة التجريد، بالضرب والحبس
فكيف يهين ابني عجيبة مسلم ... وعلمهما بالله أجلى من الشمس
وعالم تازا، لاح بدر سعوده ... فظن لديكم أنه كوكب النحس
كأنك لم تعرف حقيقة سرهم ... ولم تعترف منها بنوع ولا جنس
هم القوم، كفوا أنفسهم ولسانهم ... ومن يستطع كف اللسان أو النفس
أهانوا يدا كانت تمد تكبرا ... للثم، فمدوها طلبا الفلس
وقد عوضوا عن الشفوف عباءة ... مرقعة، قرت بها العين في اللبس
وفروا إلى الله، على حين علمهم ... به، تاركين الخلق في مجهل اللبس
فدونك نصحي يا بن ريسون واشتغل ... بنفسك عن الناس، من عمرو أو قيس
ولا تر إلا الله في كل وجهة ... وبع صفقة الأكوان بالثمن البخس
فهذا أبوك الغوث كان كما ترى ... وكم قبله من عارف، زاهد جرس
أما لك في الشيخ ابن سودة أسوة ... أما أنه، في العلم، تاج على الرأس
وكان أمير المؤمنين محمد[128] ... يذكر في حق الزوايا بما ينس
وما ظن فيهم ريبة قط، لا ولا ... سقاهم كغيرهم نقيعا من الباس
وهذا ابنه في العلم والدين قدوة ... وما حط منهم، لا بجهر ولا بهمس
فسلم، هداك الله، تسلم ولو لمن ... تخبطه الشيطان يوما من المس

127- فهرسة ابن عجيبة: بعلم.

128- هو مولاي محمد حفيد المولى سليمان، وكان سلطان المغرب(1757- 1790).

وإني سليمـــان، ابـــن عمـــك، لا أرى سواي، لكم يرمي بنصـــح عـــن القوس

وحبي لكـــم قوى انتصاري لهـــم فكن كهم، لا ترى بغير ربك مـن أنـــــس[129]

[وأنشد الفقيه الجليل سيدي عبد الودود بن عمر التازي[130] الأندلسي قصيدة من خمس وأربعين بيتا سماها:" مقمعة الحساد"، يمدح فيها مولانا العربي وأصحابه وطريقته من جملة قوله فيها:

إن كنت تبغي طريق القوم والنـــاس فاعكف على الذكر لا تعكف على الكأس

وكـــن لأربابه في الناس ملتـزمـا فإنهم قـد صفوا مـن كـــل أدنـــاس

قوم أرى الله في القـــوم وصفـــهم لا يفـــتـــرون بتسبيح لأنفـــــاس

لبسوا العبـــاءة الإخـــوان مطلبهم لمقبر نفس ومـا يعـــور الوســـواس

هم الرجال فذكرهم على الاعكـــاف لم يخشوا لوما ولا يـــرون من بـــاس

وإن أتاهـــم فقير يرضى ملتهـــم قالوا جميعا: على عيني مـع الـــرأس

إن لم يكونوا من أهـــل الله في سـمة فليـــس لله مـــن أهـــل ولا نـــاس

قد لازموا الذكر لم يلووا علـى أحـد مـــن خشية الله في شكـل وأجنـــاس

وكيف لا وبهم إمـــامـنا العربـــي شيخ الطريقـــة مـــثل شـــامخ رأس

إمـــام عـــلم وحلم ومفاخـــرة أوضح ذا الدين في زمـانــنا القـــاس

سهل الطريقة لم يـذقـك مـــن نصب لم يبق في المرء من رجـــس وأنـجاس

لم تدر مـــما سقـــاك مـــن مباشـرة أم نظـــرة أم بخمرة بـــلا كـــاس

[129]- ذكر القصيدة المشرفي في "**نزهة الأبصار**"، وقال:" وله القصيدة المنثورة في درقاوة الذين قبضهم أهل تطوان لما خرقوا العادة المألوفة الاستعمال ولبسوا جلود البقر، وجعلوا قرونا على رؤوسهم، هضما للنفس، وهم قادة علمائها أولاد بن عجيبة... هذه القصيدة يخاطب فيها ابن عمه أبا الحسن". ص 415. ذكرها في "**الروضة المقصودة**". ص 472- 473." **فهرست ابن عجيبة**"، 59- 60.

[130]- عبد الودود بن عمر التازي الشفشاوني، أبو محمد، (ت. 1247هـ/ 1831م) دفين فاس، وذكر له الكتاني كتاب "نزهة الأخيار المرضيين في مناقب العلماء الدلائيين". فهرس الفهارس، 1: 272 و 394، 2: 1112.

جـــــزاه رب الورى خــيرا وأتحفه ما نال رشـــــده من عــار ومـــن كاس

إلى أن قال:

إن كنت تبغي هداك ادخل لحضرتهم وارقص بهــا وتــعلم نـــقر ذا الطـاس

وكن إذا مــا دخلتها على صفـــــــاء خالص قلب مــــن أمراض وامـــلاس

فإنهم قــــــــادة وسـادة فضــــــــلا بل كرمـــــا أهـــــل تدقــيق وإحساس

إلى أن قال:

ادخـــــــل لحضرة أهل الله مبتهــلا فالناس بالناس جــاء الخـبــر الـراس

ما زال قــــول الذي يبدي نصيحتـه ويرتجـيـــــه قـــبـــولا دون إيـــــاس

من لم يكن في طلب الشرب مجتهـدا بنية لم يــذق حـــــلاوة الكـــــــاس][131]

قلت، الله أكبر، ما أحسن الفقيه إذا كان فقيها، وما أقبح الفقيه إذا كان سفيها، وما أحسن الفقيه إذا أخلص معاملة مولاه، وما أقبح الفقيه إذا ملكته نفسه وهواه، وما أحسن الفقيه إذا تواضع وانكسر، وما أقبح الفقيه إذا تجبر واستكبر، وما أحسن الفقيه إذا انتبه واتبع، وما أقبح الفقيه إذا تغافل وابتدع، الاطراف[132] والانعكاس، لفقيه هو قدوة للناس، وقدوته هو الوسواس الخناس.

131- ما بين معقوفين سقط من: "ح"و"س".

132- س: الاطراد.

فصل:

قال الشيخ الجليل، العالم الرباني، سيدي محمد السنوسي، رضي الله عنه، في: "نصرة الفقير، في الرد على أبي الحسن الصغير": "وأما اعتراضكم على المنتسبين إلى الفقراء[133] والطريق فمن حمقكم وقلة عقولكم، إذ لو عقلتم عن الله ما أمركم به لاشتغلتم بالإنكار على أنفسكم وأهليكم[134] ومن لاذ بكم، وبعد ذلك تنهون عن الفحشاء من الكبائر الظاهرة، وشرب[135] الخمر والزنا، وعقوق الوالدين، وأكل أموال اليتامى، وشهادة الزور، ويمين الغموس، واللواط والكذب، والخيانة والربا. وما اتخذه[136] أصحابكم من الرشا عند النوازل هو عين السحت؛ قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم:" ألا إن الرشا هو عين السحت"، رواه البخاري، وذلك ما أنتم موصوفون به، فإن سلمت أنفسكم فمن لاذ بكم موسوم بذلك. وقد سئل عنكم الشيخ تقي الدين السوسي، فقال: أبو الحسن الصغير ليس له إلا تزويق الظاهر، وليس له قدم في الباطن. وذلك هو الحق[137] الذي لا خفاء فيه، إذ لو سلمت بواطنكم، وعلمتم[138] عن الله ما أمركم به لعلمتم أن الخلق عيال الله، سيما أهل الانتساب إليه، سواء صدقوا أم كذبوا، تكفيهم النسبة. فلما أن عمي الباطن وصدق الله أقوال المشايخ فيكم و ما ذكر عنكم من الاشتغال بأعراض الناس، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ألم تسمع قوله، صلى الله عليه وسلم، في الصحيح:" كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه"[139].

---

[133] - نصرة الفقير و"س": للفقر.
[134] - نصرة الفقير، "ب"و"س": أهلكم.
[135] - "ح"و"س": كشرب.
[136] - نصرة الفقير و"ب"و"س" : اتخذوه.
[137] - ح: الحد.
[138] - ح: وعقلتم.
[139] - رواه مسلم، (كتاب البر والصلة والاداب)، وهو بعض حديث من رواية البخاري ومسلم. فتح الباري،(9: 198 – 199، رقم 5143 (كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع)، إتحاف المسلم للنبهاني، ج. س، 418 و 421(باب الترهيب من الغيبة والبهت والترغيب في تركهما).

بأي وجه استحللت[140] أعراض المسلمين الذاكرين الله. يا أخرق ويا أخرق[141]، ألم تسمع قوله تعالى:﴿**والناشطات نشطا**﴾[142]، قال عليه السلام:"كلاب في جهنم تنزع اللحم عن العظم"، وأي لحم يقوى على هذا يا مغرور. ألم تسمع قوله عليه السلام:" من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"[143]،[...][144] وما مثل العلم في صدوركم إلا كما قال رب العالمين: ﴿ **كمثل الحمار يحمل أسفارا**﴾[145].

إياك والنكر على الفقراء وإن كانوا جهالا بالآي والحديث، فهم موصوفون بالإيمان من حيث الذكر، وأنت موصوف بالنفاق من حيث النكر[وإرادتك تقطع][146] طريق الذكر على الفقراء، والذكر يشهد لهم بالإيمان، والنكر يشهد لك بالنفاق. وقال عليه السلام:" أكثر منافقي أمتي قراؤها"[147].

قلت، وهذا كله صادق بأهل العلل والأمراض المواجهين أهل الله بالإنكار والاعتراض؛ كعلماء تطوان وغيرهم، الذين استحلوا أعراض المنسوبين، وهتكوا[148] حرمتهم في البلاد، المحجوبين عن أسرار الحق تعالى في العباد، المحرومين بسوء الظن وعدم الاعتقاد. أما علموا أن أهل الله المنسوبين علماء بأسرار الآي وأحاديث رسول رب العالمين، غرقى في بحر الشهود والعيان، متحققين بمقام الإسلام والإيمان والإحسان. أتحفهم مولاهم بأنواع اللطائف

---

[140]- "ح"و"س": استحللتم.

[141]- س: أحمق.

[142]- النازعات، 2.

[143]- رواه الترمذي في الجامع الكبير (كتاب الزهد، 11، رقم: 2318). قال الترمذي:"وهذا عندنا أصح من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة، وعلي بن حسين لم يدرك علي بن أبي طالب"). ورواه ابن ماجة في سننه، (كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، رقم: 3976).

[144]- اختصار من المؤلف.

[145]- الجمعة، 5.

[146]- ح: بإرادتك قطع.

[147]- السنوسي، نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير، (خ). ورقة 40 ب- 41 أ. الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (رقم: 841)، والبيهقي في شعب الإيمان (رقم: 6959). عن ابن عمرو، وأحمد في المسند والطبراني في الكبير. عن عقبة بن عامر، والطبراني في الكبير، وابن عدي في الكامل، عن عصمة بن مالك. ورمز إليه السيوطي بالحسن. (الجامع الصغير، 2: 80). قال المناوي (فيض القدير، 2: 81): "وقال الهيثمي أحد أسانيد أحمد ثقات، وسند الطبراني فيه الفضل بن المختار ضعيف".

[148]- "ح"و"س": وهتك.

والكرامات، وأنالهم الرضى والرضوان والفوز بأرفع الدرجات[149]. أما علموا أن الإنكار، موجب لسخط الجبار، ودخول دار البوار، وعدم نيل بركة الفضلاء الأخيار. وقال في "كفاية المعتقد، ونكاية المنتقد" : " أول عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم بركتهم، ويخشى عليه سوء الخاتمة". وقال صاحب كتاب الأنوار: " من رأيتموه يزدري بالأولياء، وينكر مواهب الأصفياء، فاعلموا أنه محارب لله، مطرود عن حقيقة القرب من الله[150]".

وفي المنن الكبرى لسيدي عبد الوهاب الشعراني، رضي الله عنه: " قال الشيخ عبد القادر الجيلاني، رضي الله عنه: "من وقع في عرض ولي ابتلاه الله بموت القلب". وكان الشيخ أبو عبد الله القرشي يقول: " من غض من ولي ضرب في قلبه بسهم مسموم، ولم يمت حتى تفسد عقيدته"[151]، فيموت على أسوء حال. [وكان أيضا يقول، كما في ترجمته من لواقح الأنوار:" ما رأينا أحدا قط أنكر على الفقراء وأساء بهم الظن إلا ومات على أسوإ حالة. وكان رضي الله عنه يقول أيضا: احتقار الفقراء سبب لارتكاب الرذائل"[152]. وكان الشيخ محمد بن أبي جمرة[153] يقول:" إياكم والإنكار على الناس فيما يحتمل التأويل"[154]. (هـ) من ترجمته. وكان الشيخ عبد الغفار القوصي[155] رضي الله عنه، يقول:" كلام المنكرين على أهل الله تعالى كنفخة ناموسة على جبل، فكما لا يزيل الجبل نفخة الناموسة كذلك لا يزلزل الكامل بكلام الناس فيه"[156]. (هـ) من ترجمته. وكان الشيخ مولانا أبو الحسن الشاذلي، رضي الله عنه، يقول:" من اعترض على أحوال

149- "ب"و"س": العبادات.

150- س: قرب الله.

151- الطبقات الكبرى للشعراني، 226، مع اختلاف في اللفظ.

152- الطبقات الكبرى للشعراني، م. س. 226.

153- ترجمه في الطبقات الكبرى للشعراني، 226- 228.

154- الطبقات الكبرى للشعراني، م. س. 227.

155- ترجمه في الطبقات الكبرى للشعراني، م. س. 228- 229.

156- الطبقات الكبرى للشعراني، م. س. 228.

الرجال فلا بد أن يموت قبل أجله ثلاث موتات أخر، موت بالذل، وموت بالفقر، وموت بالحاجة إلى الناس، ثم لا يجد من يرحمه منهم"[157]. (هـ) من ترجمته[158]][159]. وكان الشيخ أبو العباس المرسي، رضي الله عنه[160]، يقول: "تتبعنا أحوال القوم فما رأينا أحدا أنكر عليهم ومات بخير"[161].

وفي نصرة الفقير:" إياك ولحوم هذه الطائفة، لأنها مسمومة وداء كلها، يخشى على المكذب لهم سوء الخاتمة، والعياذ بالله"[162]. فرضي الله عن أهل النظر الكبير، المشاهدين أسرار الحق تعالى في الجليل والحقير. لأجل ذلك حسنوا ظنهم بالجميع[163]، ونالوا بكل شئ القرب من مولاهم السميع. وافهم ها هنا قول شيخنا الإمام سيدي مولاي العربي بن أحمد، رضي الله عنه:" من شاهد الكمال في كل شئ، استمد من كل شئ، وزاد قربا إلى الله بكل شئ[164]". وقال شيخه سيدي علي بن عبد الرحمن العمراني[165]، رضي الله عنه:" اعلم أن محسن[166] الظن في المنسوبين، وهو مخطئ، أفضل من مسئ[167] الظن فيهم وهو مصيب؛ لأن الخلق مثل الأرض أينما حفرت تجد الماء، إلا أن بعض المواضع الماء فيها قريب، وبعضها الماء فيها بعيد، كذلك سر الربوبية في كل مخلوق، اطلبه فيمن والاك منهم تجده. إلا أن أقواما تجده فيهم ظاهرا جليا، وأقواما تجده فيهم باطنا خفيا.

---

[157]- الطبقات الكبرى للشعراني، م. س،299.

[158]- الطبقات الكبرى للشعراني، م. س, 290- 312.

[159]- ما بين معقوفين ورد في الطرة من النسخة "ح".

[160]- سقطت من "س".

[161]- المنن الكبرى (لطائف المنن والأخلاق)، 363.

[162]- نصرة الفقير، م. س. ورقة 43 ب.

[163]- س: في الجميع.

[164]- س: + "ومن شاهد النقص في كل شئ استمد منه كل شئ وزاد بعدا من الله".

[165]- علي بن أحمد بن عبد الرحمن العمراني، الملقب بالجمل، (ت.1194هـ/ 1780م). من شرفاء بني عمران، صحب أبا المحاسن سيدي العربي بن أحمد بن عبد الله معن الأندلسي، ولزم خدمته مدة 16 سنة. ترجمه في: الروضة المقصودة، ص469.- 470. إتحاف المطالع، ضمن موسوعة أعلام المغرب، 7: 2418، وتذكرة المحسنين، 7: 2421، سلوة الأنفاس، ج : 358- 360. وألف في مناقبه الشيخ العربي الدرقاوي تأليفا.

[166]- ح: من حسن.

[167]- ح: ممن أساء، وفي "س": سئ.

والحق تعالى هو الظاهر الذي ظهر في أهل الظاهر، وهو الباطن الذي بطن في أهل الباطن. وعلى هذا فصاحب سوء الظن محروم بسوء ظنه لما ظن السوء وجد السوء، وصاحب حسن الظن مكرم[168] بحسن ظنه، لما ظن الجميل وجد الجميل" أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء"[169]. فافهم، أعاذنا الله من سوء الظن في عامة الناس فضلا عن خاصتهم، وهم المنتسبون إلى الله عز وجل، نسأل الله تعالى أن يرزقنا محبتهم حتى نكون[170] عبيدا لعبيدهم بفضله وإحسانه آمين.

وقال رضي الله عنه:" اعلم أن كل من كان قاصدا لمولاه، صادقا في طلبه لو طلبه في الحجر لوجده فيه، ولتجلى له فيه حتى يشاهده عيانا، وما ذلك على الله بعزيز، وأحرى في الآدمي المنسوب إلى مولاه، ولكن ما فاز من فاز بالذخيرة إلا بمحبته وحسن ظنه في عباد الله، ولا حرم من حرم إلا بعدم محبته وسوء ظنه في عباد الله، جعلنا الله من أهل حسن الظن في عباد الله". ومن هنا قال سيدي أبو العباس المرسي، رضي الله عنه:" لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض، فما بالك بنور المؤمن المطيع"[171].

قلت، وكيف يسوغ لأهل تطوان السعي في إبطال مكان أعد[172] للصلاة والذكر وقراءة القرآن، كأنه شاع بالفساد والمنكر والعصيان، حتى أخرجوا الفقراء من تلك الزاوية وأغلقوها. أما سمعوا قوله تعالى:﴿ **ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها**﴾[173]، أما سمعوا قوله، صلى الله عليه وسلم:" ليبعثن الله أقواما يوم القيامة في وجوههم النور على منابر من لؤلؤ، يغبطهم الناس، ليسوا بأنبياء ولا شهداء، قال: فجثى أعرابي على ركبتيه فقال: يا

---

168 - س: مكروم.

169 - روي في الصحيحين بدون: إن الخ... (الجامع الصغير، 2: 312، رقم: 1933، فيض القدير بهامشه).

170 - س: نكونوا.

171 - لطائف المنن، 95.

172 - ب: عد.

173 - البقرة، 114.

رسول الله، [صفهم لنا لنعرفهم][174]، قال: المتحابون في الله من قبائل شتى، يجتمعون على ذكر الله يذكرونه"[175]، رواه الطبراني بإسناد صحيح. أما بلغهم ما في البخاري ومسلم؟[176]." إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتهم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء"[177]، الحديث. أما بلغهم ما رواه الطبراني في الصغير[178] عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال:" مر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بعبد الله بن رواحة وهو يذكر أصحابه، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: أما إنكم الملأ الذين أمرني الله أن أصبر نفسي معهم؛ ثم تلا هذه الآية:﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**﴾ إلى قوله:﴿ **وكان أمره فرطا**﴾[179]. أما جلس عدة[180] إلا ما جلس معكم[181] عدتهم من الملائكة، إن سبحوا لله تعالى سبحوه، وإن حمدوا الله حمدوه، وإن كبروا الله تعالى كبروه؛ ثم يصعدون إلى الرب جل ثناؤه، وهو أعلم بهم، فيقولون: "يا ربنا، عبادك سبحوك فسبحنا، وكبروك فكبرنا، وحمدوك فحمدنا"، فيقول ربنا: "يا ملائكتي، أشهدكم أني قد غفرت لهم"، فيقولون: "فيهم فلان الخطاء"، فيقول: "هم القوم لا يشقى بهم جليسهم".

فلله عليهم كيف يتعرضون لإبطال ذكر الذاكرين، وتشتيت جمع العباد الشاكرين؟. وهل هذه إلا أوصاف المنافقين، الذين تنقبض قلوبهم من ذكر الذاكرين، وتنشرح صدورهم عند خوض الغافلين. قال الله تعالى:﴿ **وإذا ذكر الله**

---

[174]- س: جليهم لنا نعرفهم.

[175]- رواه الطبراني في شعبه.

[176]- رواه البخاري (كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، ح: 6408)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل مجالس الذكر، ح: 2689). 4: 2069- 2070.

[177]- رواه البخاري ومسلم. انظر: الترغيب والترهيب، 3: 61- 62.

[178]- المعجم الصغير للطبراني، (رقم: 1074).

[179]- الكهف، 28.

[180]- ب: عدتكم. وفي "س": أما أنه ما جلس عدتكم.

[181]- س: معهم.

وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾[182]. فأي بدعة أعظم من هذه؟. وما هي إلا غفلة استولت على قلوبهم، فأنستهم ذكر الله. قال تعالى:﴿ **استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله**﴾[183]، وقال عز من قائل:﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين**﴾[184]، وأي قرين، بئس القرين الذي لم يفارقهم فاتبعوا أمره وهواه، لنهي الخلق عن ذكر الله. وقد شاع في تطوان أن كل من يقول: "لا إله إلا الله"،[يدخل السجن، وقولهم صحيح، لأن كل فقير خرج ولا يذكر الله][185] أخذته الزبانية، وأوصلوه إلى السجن.

ولما خرجنا من تطوان وبتنا بقرية وجدنا بعض أصحاب الصريدي هناك. فلما كان وقت السحر خرج بعض فقراء البلد إلى المسجد، وصلى ما شاء الله، ثم قعد يتلو القرآن، فجاء أصحاب الصريدي، وأخذوه وكتفوه، ومهما كان يقول: الله، يضربونه بالسياط إلى الصباح. فجاء حاكم البلد وأطلقه، وأخذوا مرقعته، وباعوها بثلاثة دراهم أو أربعة، وأخذوا سبحته، تركناها باقية عندهم. وما ذاك إلا لما شاع عندهم من أن الطائفة كلها على ضلال. ورأوا إحدى عشرة سبحة أخذت ومزقت[186] أمام العلماء سوى سبحة واحدة أخذها الخليفة وردها لصاحبها، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

182 - الزمر، 45.
183 - المجادلة، 19.
184 - الزخرف، 36.
185 - ساقطة من الأصل أتممناها من "س".
186 - س: فرقت.

قال في مفتاح الفلاح[187]:" إياك ومعاداة أهل لا إله إلا الله، فإن لها والله الولاية العامة، فهم أولياء الله وإن أخطأوا وجاءوا بتراب[188] الأرض خطايا، لا يشركون بالله لقيهم الله بها[189] مغفرة"[190].

قال في نصرة الفقير:" فلو كنت عاقلا لاكتفيت منهم بالذكر على أي وجه ذكروا سواء كانوا صادقين أو مبتدعين"[191]، وتقدم قوله:" الذكر يشهد لهم بالإيمان، والنكر يشهد لك بالنفاق"[192]. وقال الشافعي:" الإنكار فرع من النفاق"، وقال المازني[193]:" بل هو النفاق كله"[194].

ولما رجعنا، والتقينا بالشيخ، رضي الله عنه، قال لنا:" الحمد لله الذي جعلنا من حيز[195] أهل الصدق، وجعلهم من حيز[196] أهل التكذيب". قال، رضي الله عنه:" وقد تدبرت القرآن فإذا الثلث أو قريب من الثلث كله في قصص أهل التكذيب لأهل الصدق وما جرى للمكذبين، نسأل الله السلامة بمنه، إنه على كل شئ قدير".

تنبيه وإرشاد، لمن وقف عليه من الجاحدين أهل العناد، المحجوبين عن أسرار الحق في العباد:

تقدم أن من لم يسلك على يد العارفين، فلا يزال ينكر على المنتسبين، ولو كان من أكابر العلماء والصالحين، كما وقع لجماعة من العلماء، لكنهم لم يظلموا أحدا، ولا تعرضوا له بإذاية أبدا، كالإمام الغزالي، والإمام عز الدين، والإمام ابن

---

[187]- مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح، ينسب لابن عطاء الله السكندري، طبع مرات عديدة.
[188]- س: بقراب.
[189]- س: بمثلها.
[190]- مفتاح الفلاح، 83.
[191]- نصرة الفقير، م. س. 65 ورقة 42 أ.
[192]- نصرة الفقر، م. س، 59 ورقة 42 أ.
[193]- س: المازري. وفي الأجوبة المرضية: المزني.
[194]- الأجوبة المرضية، 248.
[195]- س: خير.
[196]- س: خير.

حنبل، وابن سريج[197]، وغيرهم رضي الله عنهم. وليت شعري أين يوجد واحد من فقهاء أهل هذا الزمان الذين ينكرون على الفقراء، يساوي تراب نعل واحد ممن ذكر من العلماء قبل دخولهم في الطريق وصحبتهم للمشايخ؟.

وقد كان الإمام الغزالي، رضي الله عنه، يلقب بحجة الإسلام، وألف كتاب الإحياء، وحين اجتمع بشيخه أبي محمد البازغاني[198] صار يقول:" ضيعنا[104-ب] عمرنا في البطالة"، يعني بالنسبة لما رآه لما صحب الشيخ"[199]. وكان يقول: "كنا ننكر على القوم أمورا حتى وجدنا الحق معهم. قال تعالى:﴿ **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتيهم تاويله**﴾[200]، وقال تعالى:﴿ **فسيقولون هذا إفك قديم**﴾[201].

وكان الإمام عز الدين بن عبد السلام يلقب بسلطان العلماء، حتى قال فيه ابن عرفة[202]:" لا ينعقد إجماع بدون عز الدين بن عبد السلام"، وكان يقول:" وهل تم طريق غير ما فهمناه من الكتاب والسنة، وينفي طريق القوم"، فلما اجتمع بسيدي أبي الحسن الشاذلي، رضي الله عنه، وأخذ عنه صار يقول:" والله ما قعد على قواعد الشريعة التي لا تنهدم إلا الصوفية [وجلس غيرهم][203]".

وكان الإمام ابن حنبل، رضي الله عنه، يقول لولده عبد الله: " يا عبد الله، عليك بالحديث، وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم صوفية، فربما كان أحدهم جاهلا بأحكام دينه". فلما صحب أبا حمزة البغدادي، وعرف أحوال القوم

---

[197]- أبو العباس، أحمد بن عمر بن سريج، البغدادي، (ت. 306هـ/ 918م). ترجمه: شذرات الذهب، 2: 247.
[198]- س: البزغاني.
[199]- الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية ، 189.
[200]- يونس، 39.
[201]- الأحقاف، 11.
[202]- أبو عبد الله، محمد بن محمد بن عرفة، الورغمي التونسي، (ت. 803هـ/ 1400م). ترجمه: شذرات الذهب، 7: 38، الفكر السامي، 2: 293- 294.
[203]- سقطت من: "ب"و"س".

صار يقول لولده:" يا عبد الله عليك بمجالسة هؤلاء القوم فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة"[204].

وكان ابن[205] سريج ينكر على الجنيد حتى استخفى وبات ليلة في رباط الجنيد إلى الصباح، وحضر مجلسه يوما آخر، فاعترف بفضله؛ وقال: "ما رأيت من أحوالهم شيئا يخالف الكتاب والسنة"[206]، إلى غير ذلك مما هو مقرر في كتب الأئمة، رضي الله عنهم. فهذا كله مما يدلك على صحة طريق التصوف وشرفها، وعلو مراقيها.

قال الإمام الشعراني، رضي الله عنه: "وسمعت شيخنا شيخ الإسلام، زكريا الأنصاري[207] يقول: "يكفينا في شرف الطريق إذعان الأئمة لأهلها في كل زمان، وسؤالهم الدعاء منهم في الشدائد دون العكس"[208].

قال: "وبلغنا أن الإمام الشافعي كان يجالس الصوفية كثيرا، ويقول: "يحتاج الفقيه[209] إلى معرفة اصطلاح الصوفية ليفيدوه[210] من العلم ما لم يكن عنده". وقيل له مرة: "ماذا استفدت من مجالسة الصوفية؟" فقال: "استفدت منهم شيئين: قولهم: "الوقت سيف[211] إن لم تقطعه قطعك"؛ وقولهم: "إن لم تشغل نفسك بالخير شغلتك بالشر"[212].

---

[204]- الأجوبة المرضية، 185.
[205]- س: أبو.
[206]- الأجوبة المرضية، 163.
[207]- زكريا الأنصاري الخزرجي(926هـ / 1520م). عالم مشارك في الفرائض والفقه والتفسير والقراءات والتجويد والتصوف. ترجمه في: شذرات الذهب: 8: 134، الطبقات الكبرى، 452، الطبقات الصغرى للشعراني، 32- 39، الأعلام، 3: 46، هدية العارفين، 5: 374.
[208]- الأجوبة المرضية، م. س،187.
[209]- الأجوبة المرضية: الفقير.
[210]- س: ليفيده.
[211]- الأجوبة المرضية: كالسيف.
[212]- الأجوبة المرضية، م. س، 186- 187.

وكان شيخ الإسلام المجد الفيروزابادي[213]، صاحب القاموس، رحمه الله عنه، يبالغ في الثناء على الصوفية سيما على الشيخ محيي الدين بن العربي؛ ثم يقول: " وبالجملة فما أنكر على الصوفية في كل عصر إلا بعض الفقهاء[214] الذين لا حظ لهم في مشرب المحققين، وأما جمهور العلماء فاعترفوا لهم بالعلم والفضل والكرامات"[215].

ولما تكلم ابن الخياط في ابن العربي الحاتمي، رد عليه المجد المذكور بقوله: "كيف يسوغ لابن الخياط أن يقول في مجالسه أن الشيخ محيي الدين من غلاة الصوفية.[أما علم أن الصوفية][216] سادات الناس في كل زمان، والغلاة إنما هم[217] أهل الضلال والبدع؛ كالروافض الذين يسبون الشيخين وأمهات المؤمنين. وأكثر الصوفية هم أهل الفقه[218] من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وإمامهم في هذا المقام ومرشدهم، هو سيد المرسلين، صلى الله عليه وسلم وعلى آله. [قال][219]: وكان شيخنا مجتهد زمانه، شيخ الإسلام تقي الدين السبكي، رحمه الله، يقول كثيرا: "طريق الصوفية هي طريق الرشاد التي كان عليها السلف الماضون، إليها يستندون، وعليها يعتمدون"[220].

ثم قال الشعراني، بعد كلام طويل: " فعلم من جميع ما قررناه في هذا الباب أن طريق القوم كلها أدب وخير، وأنها من أجل الطرق خلاف ما يظنه من لا خلطة له بهم من الأجلاف الذين غلظ حجابهم، فالله تعالى يتفضل عليهم بالعفو، وأن لا

---

[213]- أبو طاهر، محمد بن يعقوب، الفيروزبادي، الشيرازي (ت. 817هـ 1414م). ترجمه: الضوء اللامع، 10: 79- 86، بغية الوعاة، 117- 118، معجم المؤلفين، 12: 118- 119.

[214]- ح: الفقراء. الأجوبة المرضية: الفقهاء القح.

[215]- الأجوبة المرضية ، ص، 315- 316.

[216]- زائدة في: "ب"و"س".

[217]- الأجوبة المرضية: هو.

[218]- الأجوبة المرضية : أهل الصفة.

[219]- ما بين معقوفين أثبتناه من الأجوبة المرضية.

[220]- الأجوبة المرضية، ص، 315.

يؤاخذهم بالطعن في أخلاق الأولياء، فإن الطعن فيها طعن في أخلاق الأنبياء لكونهم ورثتهم"، ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾[221].

---

[221]- النور، 46.

فصل:

قد عد شيخ الأشياخ المخزومي نحو السبعين علما، وقال:" يجب على العبد معرفتها قبل الإنكار على الصوفية، **منها**: أن يكون عنده حسن الظن بأولياء الله ليقرب من حضرتهم، فيشرف على مقاصدهم، فإن من أساء الظن بهم طرد من حضرتهم[222] ورمي[223] بحجارته. **ومنها**: أن يكون قد اطلع على معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء سلفا وخلفا. **ومنها**: ملازمة[224] النظر في كتب تفسير القرآن العظيم، ومعرفة التأويل وأسرار الكتاب والسنة. **ومنها**: ملازمة كثرة النظر، والتأمل في معاني آيات الصفات وأخبارها، واطلاعه على جميع ما قاله السلف والخلف في معانيها، ومعرفة من أخذ بالظاهر، ومن قال بالتأويل، ومن دليله أقوى وأرجح من غيره. **ومنها**: وهو أهمها، معرفة اصطلاح القوم فيما عبروا عنه من التجلي الذاتي والتجلي الصوري؛ وما المراد بالذات؟ وذات الذوات، والصفات والأسماء والمشيئة، والإرادة وحضرة الأحدية؟"[225].

فاسلك يا أيها الفقير طريق القوم، واتخذ لك شيخا إن أردت أن تسلم للقوم وتعتقد فيهم، وإلا فمن لازمك الإنكار عليهم إلى أن تموت.

وقد كان الشيخ سيدي علي الخواص[226]، رحمه الله، يقول:" لا يكمل طالب العلم إلا بالاجتماع على أحد من أشياخ الطريق فيخرجه من رعونات النفس، ومن حضرات[227] تلبيس النفوس؛ ومن لم يجتمع مع أهل الطريق فمن لازمه التلبيس

222- ب: رحمتهم.
223- ب: ورماهم.
224- سقطت من"س".
225- الأجوبة المرضية م.س، 302- 303.
226-علي الخواص البرلسي. (939هـ 1532م). انظر: الطبقات الكبرى للشعراني، 490- 516، الطبقات الصغرى للشعراني، 490- 516.
227- س: حضرة.

غالبا. ودعوى العمل بما عمل، وكل من نسبه[228] إلى قلة العمل أقام له الأدلة التي لا تمشي عند الله، ومن شك في قولي هذا فليجرب"[229]. **ولهذا قال سيدي أبو الحسن الشاذلي، رضي الله عنه:" ومن لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرا على الكبائر وهو لا يشعر، إذ أهل الدليل والبرهان عموم بالنسبة لأهل الشهود والعيان وإن بلغوا ما بلغوا".**

قال التادلي في المعزى:" واعلم أن كل من لم يفهم حقائق الطريق، ولم يسلك[230] مسالك أهل التحقيق، فهو من العوام وإن كان عالما بظواهر الرسوم، و[231]كان في فنه لا يشق غباره، ولا تلحق آثاره. ومن أكرمه المولى بالتسليم فقد أخذ بقسمة[232] من الولاية"[233]، انظر بقية كلامه في الخاتمة.

وقد قال ابن العربي الحاتمي، رضي الله عنه:" كلما أدركناه من جهة الكشف أدركه الحفيد ابن رشد من جهة الفكر والنظر". وقال الشعراني:" ومع هذا كله جاح وخرج إلى مذهب الفلاسفة لولا أن الشيخ ابن العربي أخذ بيده وزوجه ابنته"، نقله الشعراني.

ونقل أيضا عنه أنه كتب إلى الفخر الرازي[234]، ونص الغرض منه: "وليعلم وليي، وفقه الله تعالى، أن الوراثة الكاملة هي التي تكون من كل الوجوه، لا من بعضها. "والعلماء ورثة الأنبياء"[235]، فينبغي للعاقل أن يجتهد في أن يكون وارثا

[228]- ب: نفسه.

[229]- العهود المحمدية، 509- 510.

[230]- "ب"و"س" و"المعزى": ولا سلك.

[231]- س: + وإن.

[232]- المعزى: بقسطه، "س": بقسمة.

[233]- التادلي: المعزى، 419.

[234]- فخر الدين، حجة الحق، محمد بن عمر الرازي، (ت. 606هـ/ 1209م). ترجمه: شذرات الذهب، 5: 21- 22.

[235]- أخرجه أبو داود في السنن، (رقم: 3641)- والترمذي (رقم: 2682)، وابن ماجة (رقم: 223)، وانظر: كشف الخفاء، 2: 83.

من جميع الوجوه، ولا يكون ناقص الهمة[236]؛ فيقطع عمره في معرفة المحدثات وتفاصيلها، والأحكام المتعلقة بها، فيفوته حظه من ربه عز وجل في هذه الدار.

وينبغي له أيضا أن يسرح نفسه من سلطان فكره؛ فإن الحق المطلوب فوق ما يدركه الفكر. وأيضا فإن العلم بالله خلاف العلم[237]، من حيث كونه وجودا[238]، أو من حيث السلب والإثبات. وهو خلاف ما عليه الجماعة أصحاب المقامات العلية من العقلاء والمتكلمين إلا سيدنا أبا حامد الغزالي، رضي الله عنه[239]، فإنه معنا في هذه القضية، والله تعالى أجل من أن يعرفه العقل بفكره ونظره"[240].

"وليعلم[241] أخي أن أهل الأفكار إذا بلغوا في علمهم الغاية القصوى فلا يتجاوزون التقليد لأفكارهم، والأمر أعظم من أن يفيده الفكر أو يدركه. وما دام الفكر موجودا فمن المحال أن يطمئن[106-أ] العقل ويسكن؛ فإن للعقول[242] حدا تقف عنده[243] من حيث قوتها في التصرف الفكري، ولها صفة القبول لما يهبه الله تعالى لها، فإذن ينبغي للعاقل أن يتعرض لنفحات الوجود، ولا يبقى مأسورا في فكره[244] ونظره وكسبه، فإنه على شبهة[245] في ذلك لا يرقى عنها[...][246]. ومن المحال على العارف بدرجة[247] العقل والفكر أن يستريح ولا سيما في باب معرفته[248]، عز وجل. ومن المحال أن يعرف[249] ذاته بطريق الفكر والنظر، فما

---

[236]- اختلاف في الأصل.
[237]- الأجوبة المرضية: بوحدانيته، وغاية العقول أن تعرف الله تعالى.
[238]- الأجوبة المرضية:
[239]- الأجوبة المرضية: قدس الله سره ونور ضريحه.
[240]- الأجوبة المرضية: 326.
[241]- الأجوبة المرضية: واعلم يا.
[242]- س: المعقول. الأجوبة المرضية: للعقول.
[243]- الأجوبة المرضية: عليه.
[244]- الأجوبة المرضية: قيد فكره.
[245]- اختلاف في الأصل.
[246]- بتر في الأصل. ويظهر أن المؤلف تصرف في نص الشعراني في: "الأجوبة المرضية".
[247]- في الأصل: بمرتبة.
[248]- في الأصل: معرفة الله. وفي الأجوبة المرضية.
[249]- الأجوبة المرضية: تعرف صفات.

بالك يا أخي تبقى في هذه الورطة، ولا تدخل في باب[250] الرياضات والمجاهدات والخلوات، التي شرعها رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟. وتأمل في قوله تعالى في الخضر، على نبينا وعليه الصلاة والسلام[251]: ﴿**عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما**﴾[252]. ومثلك يا أخي من يتعرض لهذه النفحة[253] الشريفة، والمزية العظيمة"[254] المنيفة. [وليعلم الأخ وفقه الله أن كل موجود فذلك السبب محدث مثله، فإن له وجهين: وجه ينظر به إلى سببه، ووجه ينظر به إلى موجده وهو الله سبحانه وتعالى.

فالناس كلهم ناظرون إلى وجوه أسبابهم، والحكماء والفلاسفة كلهم إلا المحققون من أهل الله تعالى، كالأنبياء وكمل ورثتهم، فإنهم مع معرفتهم بالسبب ناظرون إلى موجدهم من الوجه الآخر، والكامل يكنى أبا العيون. ومنهم من ينظر إلى ربه من وجه مسببه لا من وجهه، فيقول: حدثني قلبي عن ربي. ومنهم من قال، وهو الكامل: حدثني ربي بنفسه بارتفاع الوسائط، وإليه أشار صاحب المعارف، الكامل أبو زيد البسطامي، رحمه الله، يقول: "أخذتم علمكم عن الرسوم ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت". ومن كان وجوده مستفادا من غيره فحكمه عندنا الجهل، إذ العارف لا يعول في شيء من أموره على غير الله البتة][255]. وينبغي للعاقل ألا يطلب من العلوم إلا ما يكمل ذاته وينتقل معه إلى الدار الأخرة، وليس ذلك إلا العلم بالله من حيث الوهب والمشاهدة، والعلم بأحوال الآخرة، ليتأهب لها من هذه الدار بالإيمان والتسليم والخوف. وقد قالوا: "إن علم

250- الأجوبة المرضية: طريق.
251- الأجوبة المرضية: عليه السلام.
252- الكهف، 65.
253- الأجوبة المرضية: الخطة.
254- الأجوبة المرضية، م.س، 327- 328.
255- بياض في الأصل، وقد أتممناه من "الأجوبة المرضية".

الطب لا يحتاج إليه إلا في عالم الدنيا، الذي هو محل الأسقام والأمراض. فإذا انتقل العبد إلى عالم ليس فيه سقم ولا مرض، فمن يداوي بذلك العلم؟. بل ينبغي للعبد لو أخذ علمه من طريق الوهب أن لا يقف معه ويقنع به، بل يطلب الزيادة منه أبدا ما عاش[256]". قال تعالى لمحمد، صلى الله عليه وسلم:﴿ **وقل رب زدني علما**﴾[257]، فليس للعبد أن يأخذ من العلم الذي يفارقه في هذه الدار إلا ما تمس الحاجة إليه. وليجتهد في تحصيل العلم الذي ينتقل معه عند انتقاله.

[وقد نبهناك على أن العلم الذي ينتقل مع العبد هو العلم بالله تعالى، والعلم][258] بمواطن الآخرة، وما تقتضيه[259] مقاماتها حتى يمشي فيها كمشيه في منزله، فلا ينكر شيئا من التجليات الواقعة هناك أصلا، كما يقع فيه غيره ممن قصر أمله على العلم الدنيوي"[260]. "فينبغي لكل عاقل الكشف عن هذين العلمين بطريق الرياضة والمجاهدة والخلوة [على الطريقة المشروطة][261].

وكنت أريد أن أذكر لك يا أخي الخلوة وشروطها، وما يتجلى لك فيها على الترتيب شيئا بعد شئ، ولكن منع من ذلك الوقت؛ وأعني بالوقت العلماء المجادلين[262]، الذين ينكرون كل ما جهلوه من طريق القوم. وقيدهم[263] على ذلك كثرة التعصب، وحب الظهور والرياء، وأكل الدنيا بالدين، فلم يذعن أحد منهم لأهل الله عز وجل. ولو أنهم أذعنوا لازدادوا علما على علمهم[106- ب]؛ ففرق

256- الأجوبة المرضية: ما عاشر.
257- طه، 114.
258- العبارة ساقطة من: ب.
259- الأجوبة المرضية: يقتضيه.
260- الأجوبة المرضين، 329- 330.
261- سقطت من: "س".
262- في الأصل: علماء السوء.
263- الأجوبة المرضية: وكيدهم.

بين من يعرف مكة بالسماع من الحجاج، وبين من سافر معهم، ودخلها، وسكن فيها"[264]. هـ.

قال الشعراني، رضي الله عنه: " إذ كان مثل الشيخ فخر الدين، الذي أجمع الناس كلهم، على أنه لم يجتمع لأحد من فنون العلم ما اجتمع له[265]، فكيف بغيره؟. وكفى[266] بذلك منقبة للقوم"[267].

---

[264]- رسائل ابن العربي، رسالة إلى الإمام الرازي، ص ، الأجوبة المرضية، 325- 331.

[265]- تصرف المكودي في عبارة "الأجوبة المرضية"، ولا ندري إن كان اعتمد على نسخة أخرى من الكتاب المذكور، أم أنه تصرف في العبارة.

[266]- س: فكفى.

[267]- الأجوبة المرضية، 331.

تنبيه وإعلام لمن عرض نفسه للكبائر والآثام

في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام، ويشربون ألوان الشراب، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدقون في الكلام، فأولئك شرار أمتي"، نقله السيوطي في الجامع الصغير[268].

قال المناوي، [رضي الله عنه][269]، في شرحه: "وهذا من معجزاته، فإنه إخبار عن غيب وقع، والواحد من هؤلاء يطول أكمامه، ويجر أذياله، تيها وعجبا، مصغيا إلى ما يقول الناس له، وفيه شاخصا إلى ما ينظرون إليه منه، قد عمي بصره وبصيرته عن النظر إلى صنع الله وتدبيره، وصم سمعه عن مواعظ الله، يقرأ كلام الله، ولا يلتذ به، ولا يجد له حلاوة، كأنه إنما عني بذلك غيره. فكيف يلتذ بما كلف به غيره، وإنما صار كذلك لأن الله تعالى خاطب أولي العقول والبصائر، فمن ذهب عقله، وعميت بصيرته في شأن نفسه ودنياه، كيف يفهم كلام رب العالمين، ويلتذ به؟. وكيف يجلو بصره وهو يرى صفة غيره؟"[270].

قلت: والله لقد شاهدنا أحوالا شنيعة، وأخلاقا فظيعة، من فقهاء أهل تطوان، الذين رموا الفقراء بالبدعة والبهتان، وادعوا السنة بلبس الرفيع من الثياب في كل وقت وأوان، محتجّين بقوله، صلى الله عليه وسلم: "إن الله جميل ويحب الجمال"[271]. بيس الجمال الذي يوجب التجبر والتكبر والطغيان، والترفع على

---

[268]- رواه الطبراني في الكبير(رقم: 7512)، وأبو نعيم في الحلية، عن أبي أمامة، ورمز إليه السيوطي بالضعف (الجامع الصغير، 4: 129. قال المناوي:"وضعفه المنذري"، وقال العراقي: وسنده ضعيف، وقال الهيثمي: "رواه الطبراني من طريقين في أحدهما جميع بن ثوب وهو متروك، وفي الأخرى أبو بكر ابن مريم، وهو مختلط". (فيض القدير، 4: 129).

[269]- سقطت من:"س".

[270]- عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير، 4: 129.

[271]- رواه مسلم، والترمذي عن ابن مسعود، والطبراني عن أبي أمامة، والحاكم في المستدرك، عن ابن عمر، وابن عساكر عن جابر وعن ابن عمر، ورمز إليه السيوطي بالصحة. (الجامع الصغير، 2: 225، رقم: 1720).

العباد والتعرض لهم بالقلب واليد واللسان. أما سمعوا ما أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه:" قل لأوليائي لا يلبسوا ملابس أعدائي، ولا يدخلوا مداخل أعدائي فيكونوا أعدائي[كما هم أعدائي][272]"[273]. أما سمعوا قول بعض الحكماء:" من رق ثوبه رق دينه". أما بلغهم عنه، صلى الله عليه وسلم، أنه قال:"البذاذة من الإيمان"[274]، قال الراوي: "يعني التقحل، بقاف وحاء مهملة، رثاثة الهيئة، وترك الترفه وإدامة التزين والتنعم في البدن والملبس، إيثارا للخمول بين الناس"[275].

قال المناوي في شرحه: "إن قصد تواضعا وزهدا وكفا للنفس عن الفخر[107-أ] والتكبر لا إن قصد إظهار الفقر وصيانة المال، وإلا فليس من الإيمان، بل عرض النعمة للكفران، وأعرض عن شكر المنعم المنان، فالحسن والقبيح في أشباه هذا بحسب قصد القائم بها" إنما الأعمال بالنيات[276]".

تنبيه: قال ابن العربي، رضي الله عنه: "عليك بالبذاذة فإنها من الإيمان"، وورد "اخشوشنوا"، وهي من صفة الحج، وصفة أهل يوم القيامة، فإنهم غُبْر شُعْث حُفاة، وذلك أنْقى للكبر وأبعد من العجب والزهو والخيلاء والصَّلف، وهي أمور ذمها الشرع والعُرف، فلذلك جعلها من الإيمان، وألحقها بشعبه، فإن المصطفى، صلى الله عليه وسلم، قال: "الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله،

---

[272]- إضافة من: ب.

[273]- انظر: إحياء علوم الدين، 4: 234، تفضيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة. رواه الحكيم الترمذي في إثبات العلل.

[274]- أخرجه أبو داوود (رقم: 4161 ، في الترجل)، ورواه أيضا ابن ماجة (رقم: 4118، في الزهد، باب من لا يؤبه به). وهو حديث حسن. (ينظر: جامع الأصول لابن الأثير، 4: 680، رقم: 2787)، وقال:" البذاذة: رثاثة الهيئة، وترك الزينة، والمراد به: التواضع في اللباس وترك التبجح به". وعزاه السيوطي إلى أحمد في المسند، وابن ماجة، والحاكم في المستدرك عن أبي أمامة الحارثي، ورمز إليه السيوطي بالصحة، (الجامع الصغير، 3: 217). وعلق المناوي على ما قاله السيوطي بقوله:"قال الحاكم: احتج به مسلم بصالح، وأقره الذهبي، وقال الحافظ العراقي في أماليه: "حديث حسن"، وقال الديلمي: "هو صحيح"، ورواه عنه أيضا أبو داود في الترجل، وقال ابن حجر في الفتح، بعد عزوه: "حديث صحيح"، فما أوهمه صنيع المصنف من تفرد ابن ماجة به غير جيد". (فيض القدير، 3: 217).

[275]- فيض القدير، 3: 217.

[276]- الحديث سبق تخريجه ص 38 .

وأدناها إماطة الأذى عن الطريق"[277]. ولا شك أن الزهو والعُجْب والكبر أذى في طريق سعادة المؤمن. ولا يماط هذا الأذى إلا بالبذاذة، فلذلك جعلها من الإيمان"[278]. هـ بلفظه.

وفي "العهود المحمدية" ما نصه:" أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن نترك الترفع[279] في اللباس تواضعا، واقتداء برسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، ولو كان معنا قناطير من الذهب فنجعل في ذلك مرضاة لله تعالى من الإنفاق على الفقراء والمساكين والمحاويج. وهذا العهد يخل به كثير من الفقراء فضلا عن العوام، وربما خلف الواحد منهم سبعين زيقا، ثمن كل زيق ثلاثة ذهبا أو أكثر. وقد رأيت من خلف سبعمائة زيق من العلماء[...]

ثم السر في ترك اللباس الرفيع أن النفس تميل إليه بالخاصية وتفرح به، وكل شئ فرح به العبد من الدنيا حجبه عن دخول حضرة الله، عز وجل. كما تحجب[280] المعصية فيريد الإنسان أن يجد قلبه[281] حال لبس الرفيع الفاخر، مثل حاله في حال لبسه الخلق القليل الثمن فلا يقدر، ومن شك فليجرب.

وكذلك جربنا السجود على الأرض الطاهرة [بلا حائل][282] يجد الإنسان انفساحا وانشراحا، ووصلة بالله عز وجل، بخلاف الصلاة على بساط أو حصير. ومدار كلام الشارع ونصحه على عكوفنا في حضرة الله عز وجل، ليعطي الخدمة للحق حقها، ويتملى بشهود الله تعالى، لأنه، صلى الله عليه وسلم، أشفق علينا من

---

[277]- رواه البخاري مختصرا بلفظ: "الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان"، ورواه عنه الترمذي. وعزاه السيوطي (الجامع الصغير، 3: 185، رقم: 3096) إلى مسلم، وأبي داود، والنسائي، وابن ماجة، عن أبي هريرة، ورمز إليه بالصحة.

[278]- فيض القدير، 3: 217.

[279]- س: الترفه.

[280]- س: تحجبه.

[281]- س: نفسه.

[282]- سقطت من "س".

أنفسنا، فضلا عن والدينا. فما منعنا الحق من فعل شئ إلا وهو يبعدنا عن حضرة الله تعالى. وقد أخبرنا أن من تكبر قصمه الله"[283]هـ.

وفيه أيضا:" وقد كان الشيخ سيدي حسن العراقي[284]، المدفون فوق كرم بركة الرطل بمصر المحروسة، إذا أعطوه جوخة نفيسة[285]، أو صوفا نفيسا، يقطعه بسكين حتى يصير شرائح شرائح، ثم يخيط[286] دارج بمسلة ويلبسه. فقلت له في ذلك، فقال: ديني أعز علي من الدنيا بأسرها. وإني إذا لبست ذلك، وهو جديد لا تخريق فيه، تصير النفس تلتفت إليه كل قليل، وتُسارقني في النظر إليه، ولو في الصلاة، بخلاف ما إذا شرمطته[287]. وإذا تعارض عندنا مفسدتان أرتكب الأخف منهما. ولا شك أن إتلاف جميع مالي عندي دون ديني"[288]. وهو في غاية الحسن لمن تأمله.

وقيل لسلمان الفارسي، رضي الله عنه: "لم لا تلبس الخز من الثياب؟. فقال: ما للعبد وللثوب الحسن فإذا أعتق فله والله ثياب لا تبلى أبدا"[289]. وكان أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، يخلل عباءته[290] بأعواد عليه، وهو من أغنى قريش، نفيا للكبر، وتذليلا للنفس، وزهدا في الفانية[291]. وطاف عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وعليه ثوب مرقع بأزيد من اثنتي عشرة رقعة، وكان اثنان منها من أدم. ولبس يوم القدس جبة، وهي مبلولة، فعارضه في ذلك أبو عبيدة ، فقال: "إنا قوم أعزنا الله بالإسلام، فإن طلبنا العز بغيره أذلنا الله"[292]. وكان إذا وجد في نفسه

283- الشعراني، لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، 2: 41.
284- سيدي حسن العراقي، ينظر: طبقات الشعراني الكبرى، 457، لواقح الأنوار القدسية، 2: 42.
285- سقطت من "س".
286- س: يخيطه.
287- "ب"و"س": أشرطته. وفي العهود المحمدية: شرمطته.
288- الشعراني، لواقح الأنوار القدسية ، م.س، 2: 41.
289- إحياء علوم الدين، 4: 220.
290- "ب"و"س": عباءة.
291- ب: الفاني.
292- رواه الحاكم في المستدرك، عن طارق بن شهاب، وقال: " حديث صحيح على شرط الشيخين".

عجبا بالخلافة يحمل الحطب بنفسه من السوق. وحمل مرة قربة ماء، وخرج بها، وطاف بها في الناس، فقيل له في ذلك، فقال: "إن نفسي أعجبتني، فأردت أن أذلها"[293].

وكان عثمان، رضي الله عنه، يخطب الناس وعليه إزار غليظ، ثمنه أربعة دراهم. وعن سيدنا علي، رضي الله عنه، قال: "رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من كثرة رقاعها، إلى أن قيل[294] لي: القها عنك فذو الأتن لا يرضاها لأتنته".

وقال أبو هريرة، رضي الله عنه: "كانت عائشة رضي الله عنها، تتصدق بألف[295]، ودرعها مخروق. وكانت تقول: "لا حاجة لي في الدنيا بعد رسول الله، صلى الله عليه وسلم". وقال لها رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "إن أردت اللحوق بي فلتكن بُلغَتك من الدنيا كزاد الراكب، ولا تستبدلي ثوبا حتى ترقعيه. وإياك ومجالسة الأغنياء"[296]، إلى غير ذلك من أحوالهم، رضي الله عنهم أجمعين.

وقد أردت أن أثبت هنا نبذة صالحة من أحاديث المنذري، تبركا وتتميما للفائدة، وتنبيها للمنتصرين لأنفسهم، المترفين[297] في أحوالهم، المنكرين[298] بأقوالهم وأفعالهم، المحتجين بأحاديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، دفعا عن أنفسهم، وتحصينا لجاههم، والحق يعلو ولا يعلى عليه، والله غالب على أمره، إنه على كل شئ قدير.

قال الحافظ سيدي عبد العظيم المنذري، رحمه الله:" الترغيب في ترك الترفع[299] في اللباس تواضعا، واقتداء بأشرف الخلق محمد، صلى الله عليه وسلم،

293- أورد السيوطي هذا الخبر في تاريخ الخلفاء، 110. دار الكتب العلمية، ط1، 1988.

294- س: قال.

295- "ب"و"س": بألوف.

296- أخرجه الترمذي(رقم: 1781، في اللباس: باب ما جاء في ترقيع الثوب). (ينظر: جامع الأصول، 4: 671، رقم: 2771).

297- ب: المترفهين.

298- س: المتكبرين.

299- ح: الترقع. ب: الترفه.

والترهيب في لباس الشهرة والفخر والمباهاة، عن معاذ بن أنس، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:" من ترك اللباس تواضعا لله، وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها"[300]. وروى عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " إن الله عز وجل يحب العبد المتبذل الذي لا يبالي بما يلبس"[301]. وعن أبي بردة قال: "دخلت على عائشة، رضي الله عنها، فأخرجت إلينا كساء من التي تسمونها الملبدة، إزارا غليظا مما يصنع باليمن، وأقسمت بالله لقد قبض رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في هذين الثوبين"[302]، والملبد: المرقع، وقيل غير ذلك.[...] وعن أنس، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أكل خشنا، ولبس خشنا، لبس الصوف، واحتذى المخصوف. قيل للحسن: ما الخشن؟. قال: غليظ الشعير ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يسيغه إلا بجرعة من ماء"[303]. وعن ابن مسعود، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: "كان على موسى يوم كلمه ربه كساء صوف وجبة صوف، وكمة[304] صوف، وسراويل صوف. وكانت نعلاه من جلد حمار ميت"[305].[...] وعن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود، قال: " كانت الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، لا

---

[300]- رواه الترمذي وقال: حديث حسن، والحاكم في موضعين من المستدرك، وقال: في أحدهما صحيح الإسناد. (انظر:الترغيب والترهيب، 3: 390، تيسير الوصول إلى جامع الأصول، 4: 191، ترك الزينة، وأقره الذهبي في باب الإيمان وضعفه في باب اللباس (الجامع الصغير، 6: 101، رقم: 8584). قال المناوي:" وأورده ابن الجوزي في العلل وأعله به". (فيض القدير، 6: 101).

[301]- رواه البيهقي مرفوعا. قال العراقي: "لم أجد له أصلا"، (المغني، 4: 232- تفضيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة-).

[302]- رواه البخاري (صحيح، 4: 274، رقم: 709 باب اللباس)، ومسلم (3: 1649، كتاب: اللباس والزينة، باب: التواضع في اللباس)، وأبو داود(السنن، 3: 45، رقم: 4036 باب: لباس الغليظ)، والترمذي أخصر منه. وابن حنبل(المسند، 7: 50، رقم: 23517).

[303]- رواه ابن ماجة والحاكم، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

[304]- ح: لمة، وفي ب: كمة.

[305]- رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري. (تيسير الوصول، 4: 200، في الصوف).

يستحيون أن يلبسوا الصوف، ويحتلبوا الغنم، ويركبوا الحمْر"[306]. [وروى ابن ماجة][307] عن عبادة بن الصامت، رضي الله عنه، قال: " خرج علينا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ذات يوم وعليه جبة من صوف ضيقة الكمين فصلى بنا فيها، ليس عليه[108-ب] شئ غيرها"[308]. وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: " قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، براءةٌ من الكبر لباس الصوف، ومجالسة فقراء المسلمين، وركوب الحمار، واعتقال العنْز والبعير"[309]. وعن الحسن، رضي الله عنه،" أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كان يصلي في مروط نسائه، وكانت أكسية من صوف مما يشترى بالستة والسبعة، وكن نساؤه يتزرن بها"[310]. وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت:" خرج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وعليه مرط مرحل من شعر أسود"[311]، المرط بكسر الميم وسكون الراء: كساء يؤتزر به، وقد يكون من صوف ومن خز، ومرحل، بفتح المهملة وتشديدها: فيها صور رحال الجمال".[...] وعن عمر رضي الله عنه، قال: " نظر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى مصعب بن عمير مقبلا، عليه إهاب كبش قد تنطق به، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: انظروا إلى هذا الذي نور الله تعالى قلبه [نور الإيمان][312]. لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب،[ولقد رأيت عليه حلة شراها، أو شريت بمائتي درهم][313]، ودعاه حب الله وحب رسوله إلى ما ترون"[314]. وعن

306- رواه الحاكم موقوفا على عبد الله، وقال صحيح على شرطهما. (لواقح الأنوار القدسية، 2: 42).

307- سقطت من "س".

308- رواه ابن ماجة عن عبادة بن الصامت. (لواقح الأنوار القدسية، 2: 42).

309- رواه البيهقي مرفوعا. ولفظ رواية البيهقي:" لباس". قال أبو نعيم:" ورواه وكيع عن خارجة بن زيد مرسلا، وجزم المنذري بضعف الحديث ولم يبينه. (الجامع الصغير، 3: 198، رقم: 3131 - فيض القدير بهامشه).

310- رواه البيهقي، وهو مرسل وفي سنده لين.

311- رواه أبو داود في السنن(3: 47، رقم: 4032، باب في لبس الصوف والشعر)، ومسلم (3: 1649، كتاب اللباس والزينة، باب: التواضع في اللباس).

312- ساقطة من : ب.

313- سقطت من الحلية.

314- رواه أبو نعيم في الحلية(1: 108)، عن عمر بن الخطاب.

أنس، رضي الله عنه، [قال: " رأيت عمر، رضي الله عنه][315]، وهو يومئذ أمير المؤمنين، وقد رقع ما بين كتفيه برقاع ثلاث لبد بعضها على بعض"[316]. وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال:" لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء، قد ربطوا أطرافها في أعناقهم؛ فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن نرى عورته"[317]. وروي عن ثوبان، رضي الله عنه، قال:" قلت يا رسول الله، ما يكفيني من الدنيا؟. قال: ما سد جوعتك، ووارى عورتك، وإن كان لك بيت يظلك فذاك، وإن كان لك دابة فبخ بخ"[318].[...] وعن أم سلمة، رضي الله عنها، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: "ما من أحد يلبس ثوبا ليباهي[319] به، وينظر الناس إليه لم ينظر الله إليه حتى ينزعه، متى نزعه"[320]. وعن ضمرة بن ثعلبة، رضي الله عنه، أنه أتى النبي، صلى الله عليه وسلم، وعليه حلتان من حلل اليمن، فقال: يا ضمرة، أترى ثوبيك هذين مدخليك[321] الجنة؟. فقال: يا رسول الله، لئن استغفرت لي لا أقعد حتى أنزعهما، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: اللهم اغفر لضمرة. فانطلق سريعا حتى نزعهما عنه"[322]"[323]. هـ باختصار.

وكان الإمام الشافعي رضي الله عنه، يلبس الثياب الرفيعة، ثم رجع عنها إلى حقيقة الزهد، فقيل له في ذلك، فقال: [109-أ]

---

[315]- ساقطة من : ب.

[316]- رواه مالك. أخرجه الموطأ، 2: 252، في اللباس: باب ما جاء في لبس الثياب، وإسناده صحيح. (ينظر: جامع الأصول، 4: 701، رقم: 2814).

[317]- أخرجه البخاري، 1: 447، كتاب الصلاة، باب: نوم الرجال في المسجد، حديث 421. (ينظر: جامع الأصول، 4: 701، رقم: 2713، فيما كان النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه من الفقر).

[318]- رواه الطبراني عن ثوبان. (لواقح الأنوار القدسية، 2: 43).

[319]- ب: ليباهي. ح: يباهي.

[320]- رواه الطبراني.

[321]- س: مدخلاك.

[322]- رواه أحمد ورواته ثقاة إلا بقية.

[323]- المنذري، الترغيب والترهيب، 3: 390- 398.

لئن كان ثوبي دون قيمـته الفلــــسُ   فمن تحته علم، بــــه يشرف الإنسُ
فثوبُك شمسٌ، تحته ظلمةُ الدجـــى   وثوبي ليل مظلمٌ، تــــحته شمـــــسُ[324]

قال الشطيبي:" وفي لبس الخرقة[325] فوائد جمة، منها: أنها[326] أدوم للبقاء، وأجمل للنوم، وأقل ثمنا، وأدوم عافية. وقيل: إنه يزيد في العمر". هـ. والله عليم حكيم.

قال الشعراني، رضي الله عنه:" وقد درج العلماء العاملون كلهم على عدم أخذهم من الدنيا فوق زاد الراكب"[327]. وقد بلغنا أن الشيخ عز الدين بن عبد السلام لما غضب من سلطان مصر حمل أمتعة بيته على حمارته وأركب زوجته فوقها، وخرج من مصر. فانظر يا أخي أمتعة شيخ الإسلام، رضي الله عنه، واعتبر به. والله يتولى هداك.

واعلم أنه ينبغي التسليم لمن لبس الثياب الفاخرة من أولياء الله تعالى، كسيدي عبد القادر الجيلاني، وسيدي علي بن وفا، وسيدي أبي مدين وأضرابهم، رضي الله عنهم، فإن أهل الإخلاص لا يلحقهم ضرر من جهة الأمور الرفيعة، ولا من جهة الأمور الحقيرة". وقد كان سيدي عبد القادر الجيلاني، رضي الله عنه، يلبس كل ذراع من الخام بدينار، فاعترض عليه بعض الناس، فقال: العبد إذا مات

---

[324]- وللشافعي، رضي الله عنه، في هذا المعنى أبيات في قصة رواها الحافظ أبو نعيم: (9: 131).
علي ثياب لـــــو يباع جميعها   بفلس لكان الفلس منهن أكـــثرا
وفيهن نفس لـــو يقـــاس بمثلها   جميع الورى كانت أجل وأخطرا
فما ضر نصل السيف إخلاق غمده   إذا كان عضبا حيث أنفذته بـــرا
وانظر ديوان الشافعي، 78. تحقيق عبد الكمنعم الخفاجي، دار ابن زيدون، بيروت، ط2، 1993م.
[325]- س: الخشن.
[326]- "ب"و"س": أنه.
[327]- لواقح الأنوار القدسية في بين العهود النبوية، 418.

كفن، وأنا قد مت أكثر من مائة موتة في مخالفة النفس، فلي إذا أن ألبس كل بدلة بثمن[328] مائة كفن"[329].

[328]- "ب"و"س": ثمن.
[329]- العهود النبوية، م.س، 277.

فصل:

وقد سألني بعض الفقهاء، حفظه الله، عن هذه الأحوال التي اشتهرنا بها. ومراده الاستفادة والاطلاع على ذلك، لا الاعتراض والإنكار على ما هنالك، فقال: " هذا التجريد الذي ظهرتم به من لبس المرقعة، وتعرية الرأس، والمشي بالحفا، واتخاذ السبحة الغليظة في العنق، والسؤال في الأسواق، والصمت عن كل أحد في شهرة كبيرة، ولا شئ أضر على المريد من شهرته وانتشار صيته. وقد قال سيدي إبراهيم بن أدهم، رضي الله عنه: "ما صدق الله من أحب الشهرة"[330]، وقال بشر الحافي[331]:" ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح"[332]، ولذلك قال في الحكم: "ادفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه"[333].

فقلت في الجواب بما فتح به الوهاب: اعلم أن ما قلت في غاية الوضوح، ولا ينكره إلا جاهل أو معاند، فإن محبة الجاه، وإيثار الاشتهار مما يقدح في الإخلاص، لأنه لا ينفك بذلك عن الأغراض التي تبعثه على استمالة قلوب الخلق، فتدعوه نفسه إلى ذلك دعاء خفيا، فينصبغ عمله[109-ب] بالرياء انصباغا لا يفطن[334] له. ولذلك قال في الحكم:" ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق إليك"[335]. لكن هؤلاء المتجردين سمت أحوالهم عن هذه القواطع، وجلت رتبتهم عن الميل إلى هذه الموانع، لتحصنهم بالإخلاص، واحتظائهم بمقامات أهل

---

[330]- الطبقات الكبرى للشعراني، 101. وقد وردت بلفظ:" ما صدق الله عبد أحب الشهرة بعلم، أو عمل، أو كرم".

[331]- بشر بن عبد الرحمان بن عطاء الحافي، (227هـ/ 841م). سكن بغداد، ومات بها، صحب الفضيل بن عياض، وكان عالما ورعا. ترجمته في: حلية، 8: 336، طبقات الشعراني ، 105، وفيات الأعيان، 1: 112، صفوة الصفوة، 2: 325- 336، طبقات السلمي، 39- 47.

[332]- الطبقات الكبرى للشعراني، 105.

[333]- ابن عطاء، الحكم، 106.

[334]- "ب"و"س": يتفطن.

[335]- ابن عطاء الله، الحكم، 132.

الاختصاص. فهم رضي الله عنهم، عاملون على موت أنفسهم على الدوام، ساعون في إخماد ذكرهم بين الأنام، متحققون بأوصاف العبودية، متذللون في الأسواق وغيرها لعظمة الربوبية، قد أعرضوا عن الخلق والدنيا جملة وتركوها، ونزلوا قصور الفقر والذل، وسكنوها، وعلى موت النفس وفنائها وزوالها بالكلية واضمحلالها. مدار كل عارف مربي، كما طريقة شيخنا مولانا العربي، وطريقة شيخه سيدي علي بن عبد الرحمن، العارف بالله، وطريقة شيخه سيدي العربي بن عبد الله. فقد كان الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن، رحمه الله، يقول: " والله لا تقول أنا إلا بعد حصول الفنا، والله لا تحصل لك الحياة إلا بعد الفناء والممات، والله لا تشرق لك الشموس، إلا بعد فناء النفوس، والله لا تبلغ مقام المنا، حتى لا يبقى لك بين الأنام ثنا: وكان كثيرا ما ينشد:

ولو عز فيهـــــا الذل مـــا لذ الهـــوى ولم تك لولا الذل في الحب عزتي

وكان ينشد: [الطويل]

إذا كنت لم تصبر على الذل في الهوى تفارق مـــــن تهوى، وأنفك راغم[336]

وقال رضي الله عنه:" التجريد للفقير كالذهب والفضة إذا شحرا[337] في النار، لا يبقى فيهما دنس، كذلك الفقير المتجرد للحقائق، فإن الحقائق تصفيه ظاهرا وباطنا، حتى لا تترك فيه دنسا، مثل التصفية للذهب والفضة. والله ما وجدنا للمريد

---

[336]- وينسب البيت للعباس بن الأحنف (ت. 192هـ/ 807م). وفي وفيات الأعيان (7: 240) ومرآة الجنان (4: 131) ورد البيت بلفظ:

فإنك إن لم تغفر الذنب في الهوى * يفارقك من تهوى وأنفك راغم

[337]- ب: شحر.

شيئا أعلا مرتبة من التجريد، به يتجرد المريد الصادق من النقائص كلها"[338]، لكن مع شيخ عارف يرشده. وقال، رضي الله عنه:" قال لي سيدي العربي بن عبد الله، رضي الله عنه: "ألا أخبرك يا ولدي، والله لولا أني أعلم أنك تصدقني فيما أقول لك ما أخبرتك، حالتك [هذه][339]، يعني التجريد، هي الإكسير الأحمر الذي لا شئ في الوجود أعظم منه، ولا أشرف، ولا أقرب منه".هـ. وقال الشعراني، رضي الله عنه: " أجمع الشيوخ على أن هذه الطريقة لا تصلح إلا لأقوام كنسوا بأرواحهم المزابل". وليس قصد هؤلاء الفقراء بما يظهر عليهم من الأحوال، خفاء ولا ظهورا، وإنما قصدهم في ذلك إصلاح ما بينهم وبين خالقهم، ولا عليهم فيما سوى ذلك كما قيل[340]:

فليتك تحلو والحياة مريرة، وليتكَ ترضَى، والأنام غِضابُ
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ وبيني وبين العالمين خرابُ
وليت شرابي من ودادك صافيا وشُربيَ من ماء الفرات سراب
إذا صح منك الود، فالكل هيِّنٌ وكل الذي فوق التراب تُراب

واعلم أن حالهم[341] الذي أوجب لهم الظهور هو الذي أوجب لهم الخفاء، إذ هم في وسط الخلق مهملون، متروكون لا يبالي بهم إلا القليل من الناس؛ كما في قوله، صلى الله عليه وسلم:"[رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره"[342]، وقوله، صلى الله عليه وسلم][343]: " إن الله يحب الأصفياء

338- علي بن عبد الرحمن العمراني، نصيحة المريد في طريق أهل السلوك والتجريد، 316.
339- زيادة من: ب.
340- تنسب الأبيات لأبي فراس. وذكر الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء البيتان الأول والثاني
341- س: أحوالهم.
342- أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة. (المغني، 4: 357- حكايات المحبين-).
343- العبارة من: "ب"و"س".

الأخفياء الأبرياء، الشعثة رؤوسهم، المغبرة وجوههم، المخمصة بطونهم من كسب الحلال، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم، وإن خطبوا المتنعمات لن ينكحوا، وإن غابوا لم يفقدوا[344]، وإن حضروا لم يدعوا، وإن طلعوا لم يفرح بطلعتهم، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا"؛ لأن الناس لا يميلون إلا لمن هو في العوائد مثلهم، ولا يميلون لمن خرق عوائدهم وعوائد نفسه. وكيف يميلون إليهم أو يقدرون على الكلام معهم وهم قد سقطوا من أعينهم بأكلهم في الأسواق، وسؤالهم صباحا ومساء، وغير ذلك مما تكره النفوس أن تنظر إليه. والذي حملهم[345] على ذلك ورماهم فيه شدة إخلاصهم لربهم، إذ المخلص تثقل رؤيته على النفوس، لأن الإخلاص أصعب شئ على النفوس، ولذلك قيل:" الداخل على الحق منكور، والخارج إلى الخلق مبرور"، وأنشدوا:

غريب على[346] الأوطان في كل بلدة   إذا عظم المطلوب قل المساعد

وتلك الأحوال كلها نسك، فإن التزمها المريد، ودام عليها ماتت نفسه، وحيي قلبه، وقرب من حضرة ربه، واجتنى ثمرة غرسه على غاية الكمال والتمام. وتلك[الثمرة][347] أخلاق الإيمان التي تكيفت بها نفسه، وصارت كصفات ذاتية له، وهي نتيجة الحكمة التي أنبتها الله في قلوب عباده المتواضعين:﴿ **ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا**﴾[348]. قال عيسى عليه السلام، لأصحابه: " أين تنبت

344- "ب"و"س": يفتقدوا.
345- ب: جعلهم.
346- س: عن.
347- زيادة من: "ب"و"س".
348- البقرة، 269.

الحبة؟. قالوا: في الأرض، فقال عليه السلام: كذلك الحكمة لا تنبت إلا في قلب مذ الأرض".

وبالجملة فليس لعاقل أن ينكر على كل من رأى حاله مخالفا لأحوال الناس أن يقول: ذلك شهرة، إذ ذلك[110-ب] يختلف باختلاف النيات والمقاصد. والنا في ذلك ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: من مالت نفسه إلى الجاه ومحبة الاشتهار، والنظر إلى من الخلق إليه، وذلك كله أمر وهمي باطل، ينقاد إليه كل ذي عقل قاصر، يوج له هذا الانقياد أنواعا من الكبائر والرذائل، من الانحطاط في أهواء الناس وتحسين مواقع نظرهم منه بالتصنع والتزين لهم، وتربية الجاه والحشمة لدي تكبرا وإعظاما[349] عليهم، ومعاشرتهم بالنفاق والدهان، وتخالف الإسرار والإعلا وهذا عذاب أليم استعجله في دنياه، إذ يفوته بذلك راحة قلبه وطيب عيشه، ويسا الله ثواب الغنى والعزة، ويلبسه لباس الطمع والذلة؛ فتردى بذلك همته، وت قيمته، ﴿**ولعذاب الآخرة أكبر**﴾[350]. وأنشدوا:

من راقب الناس مات غما   وفــــاز باللــــذات الجسور[351]

[وهذه الحالة كما تكون لبعض من ظهر بالتجريد تكون لغيره من أصنا الناس][352].

349- ب: تعظما، س: تعظيما.

350- القلم، 33.

351- ينسب هذا البيت لسلم الخاسر، بن عمرو بن حماد البصري (ت. 186هـ). طبقات الشعراء لابن المعتز، 149.

352- العبارة سقطت من: س.

الصنف الثاني: من خاف من مثل هذا فمال إلى الخفاء، وآثر الخمول، فسعى في الأسباب التي تسقطه من أعين الناس؛ كقصة السائح الذي سمع به ملك زمانه فجاء إليه، فلما علم بذلك السائح استدعى بقلا وجعل يأكله أكلا عنيفا بمرأىً من الملك. فلما رآه على تلك الحال استحقره واستصغره وانصرف عنه ذاما له. وكقصة سيدي إبراهيم الخواص، الذي دخل الحمام ولبس ثياب ولد أمير البلد ولبس مرقعته فوقها، وخرج يمشي رويدا رويدا حتى لحقوه ونسبوه إلى اللصوصية، وضربوه وأخذوا منه الثياب، فقال بعض المنكرين ممن لا معرفة له[353] بالتصوف ولا بأهله: إن هذا الفعل لا يجوز في الشرع لما فيه من تعريض نفسه للتهمة، ووقوع الناس في عرضه، وربما عوقب في بيت الوالي، فهو محرم من وجوه كثيرة. والعجب كل العجب من أبي حامد الغزالي، رضي الله عنه، كيف استلبه حب التصوف إلى أن أخرجه عن دائرة الشرع، وصار يمدح أرباب هذه الأمور، فيا ليته لم يتصوف. قال الشعراني، في الرد عليه:" لا ينبغي الإنكار على مثل ما ذكر، فإن قواعد الفقه مصرحة بأنه يجوز تعاطي أخف المفسدتين؛ كاستعمال النجاسة في المداواة عند[354] فقد[111-أ] ما يقوم مقامها من الطهارات[355]. ومن عرف ما ذكر سلم للصوفية مثل ذلك". ثم قال:" واعلم أن للفقير أن يداوي قلبه ببعض المحرمات ليدفع عنه محرما آخر أشد منه. وإذا جاز أن تداوى الأجسام من الأسقام بشئ حرام فأحرى أن يجوز مداواة القلب، الذي هو محل نظر الله عز وجل من العبد، ومحل المعرفة والنور بشيء محظور؛ لأن مرض الأجسام رحمة وحسنات، ومرض القلب نعمة وهلكات. وأين هلاك الأبدان من هلاك الأديان؟. فقد بان لك يا أخي من هذا أن مداواة القلوب من محبة الرئاسة والشهرة ونحوهما أولى

353- "ب"و"س": عندهم.
354- ح: عن.
355- في الأصل: الطاهرات.

وأحرى. ومعلوم أن الأمراض إنما تداوى بأضداد عللها كالحرارة تداوى [بالبرودة وعكسها][356]"[357]. وقال في موضع آخر:" وقد انعقد إجماع أهل الله على أن المعاصي الباطنة كالنجاسة الظاهرة على حد سواء عند الله بدليل مؤاخذته بها. فكما لا تصح صلاة من في بدنه وثوبه نجاسة كذلك لا تصح صلاة من في قلبه نجاسة من غل وحسد وغير ذلك".هـ. وحكاياتهم في هذا الباب كثيرة، وفي ذلك من الأسرار ما لا يعرفه سوى أهلها، والله عليم حكيم.

الصنف الثالث: من لم يتعرض لا لخفاء ولا لظهور، بل شغله التعلق بالله، والالتفات إليه، وطلب الأسباب الموجبة للاستغراق في ذكره والغيبة عما سواه. فلا يميل إلا إلى ما هو حق، ووجود صدق. وهو ما من الله إليه من نظر وإقبال، من غير اكتراث بذم ذام أو عيب عائب. قال في الحكم:" غيّب نظر الخلق إليك بنظر [الله إليك][358]، وغب عن إقبالهم عليك بشهود إقباله عليك". وكل من تحقق بالعبودية لله عز وجل، وكان صادقا في طلب تحققها لم يلتفت لظهور ولا لخفاء، كما قال سيدي أبو العباس المرسي:" من أحب الظهور فهو عبد الظهور، ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء، ومن كان عبد الله فسواء أظهره أو أخفاه"[359]. وقال أيضا:" عبد في الحال بالحال، وعبد في الحال بالمحول؛ فالذي هو في الحال بالحال عبد الحال، والذي هو في الحال بالمحول عبد المحول"[360]. وهذا مقام أهل الإخلاص والسالكين مسلكهم من أهل الاختصاص، رضي الله عنهم أجمعين. وهذا كله على سبيل الإشارة والتلويح، وعلى قدر ما تعطيه العبارة [والتصريح][361].

356- "ب"و"س": بالمبردات وعكسه.

357- الجوبة المرضية، م.س، 417- 418.

358- ب: الحق لك.

359- لطائف المنن، 121.

360- لطائف المنن، 300. علق المؤلف على قول المرسي:" ومعنى كلام الشيخ هذا أن من تحقق بالله ملك الأشياء ولم تملكه، فيصير الحال تحت قهر تصريفه، وإنما يكون ذلك للرجل لرسوخه في العلم بالله، والعلم حاكم على الحال وبه يوزن. والحال إنما هو فرع من فروع العلم، والعلم قار ثابت، والحال لا بقاء لها".

361- ساقطة من: "ب"و"س".

وأما حقيقة تجريدهم[111-ب] وسر الأحوال التي تنشأ عنه لا يعرفها إلا من خالطهم بالصدق ومارسهم وذاق مذاقهم، كما تقدم. ويا ليت المنكرين عليهم اشتهروا بمثل هذه الشهرة ولم يشتهروا بشئ دونها. وأي شرف وأي عز أعظم وأجل من الاشتهار بالانتساب إلى الحق، إذ كل من أحب شيئا ومال إليه أكثر من ذكره، ومن أكثر من شئ عرف به، كما قال سيدنا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. وفي الحكم:" أكرمك كرامات ثلاثا[362]: جعلك ذاكرا له، ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك. وجعلك مذكورا به إذ حقق نسبته لديك، وجعلك مذكورا عنده فتمم نعمته عليك"[363]. ولما قال بشر بن الحارث للجمع الذي[364] دخلوا عليه بالمرقعات لزيارته: يا قوم اتقوا الله في هذا اللباس فإنكم تكرمون لأجله، وسكت القوم، قال شاب منهم: والحمد لله الذي نكرم لأجله، والله لا نتركه[365] حتى يكون الدين كله لله، فقال بشر: "أحسنت يا شاب، مثلك من يلبس المرقعة". هذا ما أجبته به والله الموفق بمنه وفضله.

ثم اعلموا يا أهل الإنكار، الذين تعرضوا لسخط الجبار، بإساءة الظن بهذه الطائفة المنورة، واتهامهم ورميهم بالبدعة، والتعرض للشهرة[366]، أن أحوال الفقراء المتجردين، وما يظهر عليهم من خرق عوائد نفوسهم في كل حين، إن كانت نيتهم في ذلك الهجرة إلى الله ورسوله، فهجرتهم إلى الله ورسوله، وليس للظانين ظن السوء أن يقولوا لمجرد[367] ظنهم: إن ذلك شهرة، إذ إنما يحكم على المرء بنيته وقصده، لا بنية الظان وسوء ظنه. وإن كانت نيتهم وهجرتهم إلى غير

362- س: ثلاث.
363- ابن عطاء الله، الحكم، ص 149.
364- س: الذين.
365- "ب"و"س": تركناه.
366- س: للشهادة.
367- "ب"و"س": بمجرد.

ذلك فهجرتهم إلى ما هاجروا إليه، وليس لهم أن يقولوا: إن تلك الأحوال ليست بشهرة،" إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"[368].

قال ابن بطال، في باب: ما جاء إن الأعمال بالنيات، من كتاب الإيمان، ما نصه:" قال الطبري في قوله، عليه الصلاة والسلام: "الأعمال بالنيات": هذا بيان من النبي عليه الصلاة والسلام، عن أعمال العباد التي يستوجبون عليها من ربهم الثواب والعقاب، وما منها لله وما منها لغير الله. وإنما يفرق[369] ذلك عند [ابتداء العبد العمل][370]، وفي أول دخوله فيه؛ فإذا كان ابتداؤه فيه لله لم يضره ما عرض له بعد ذلك في نفسه وخطر عليه من حديث النفس ووسواس[371] الشيطان. ولا يزيله عن حكمه إعجاب المرء باطلاع العباد عليه بعد مضيه فيه، ولا سروره بذلك، وبهذا قال عامة السلف. قال الحسن البصري، رضي الله عنه:" ما عمل آدمي عملا قط إلا سرى[372] في القلب منه صورتان: فإذا كانت الأولى منهما لله لم تضره الأخرى، وإنما المكروه أن يبتدئه بالنية المكروهة[373] ابتداؤه بها، [أو يكون عمله][374] غير خالص لله، عز وجل، فذلك الذي يستحق عامله العقاب عليه من ربه، وبنحو ذلك قال السلف"[375]. انظر تمامه فإنه أطال في هذا المعنى.

وكل إنسان على نفسه بصيرة، ولا يفرق بين السنة والبدعة إلا من تحقق ظاهرا وباطنا بالسنة. ولا يتحقق كذلك إلا من فني عن نفسه وهواه، وتحقق بالعبودية في سره ونجواه. وكيف يتحقق بوصفه من لم يتخلص من أسر فلسه

---

[368]- أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن عمر بن الخطاب، وأبو نعيم في الحلية، والدارقطني في غرائب مالك عن أبي سعيد، وابن عساكر في أماليه عن أنس، والرشيد العطار في جزء من تخريجه عن أبي هريرة. (الجامع الصغير، 1: 30- 35). وانظر تعليق المناوي عليه (فيض القدير، 1: 30- 35).

[369]- س: يفترق.

[370]- س: ابتدائه.

[371]- س: وساوس.

[372]- "ب"و"س": سار.

[373]- "ب"و"س": المكروه.

[374]- "ب"و"س": بعمله.

[375]- ابن بطال، شرح صحيح البخاري، 1: 126- 127.

وجنسه، قد علق خوف الخلق وهم الرزق بقلبه[376]، وأبعده شدة حرصه عن القرب من ربه. وكيف يصح الدوا، ممن ملكه الهوى. ثم مع هذه الحال يزن بعقله وعلمه على الرجال. وأي عقل أو علم للغافل عن الله، المحب لما أبغضه الله؟. وأما احتجاجهم بما في البخاري عنه، عليه الصلاة والسلام:" إياكم ومحدثات الأمور، فإن [كل محدثة بدعة][377]، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"[378]. فقد قال العالم الأكبر، الحجة الأشهر، سيدي محمد السنوسي، رضي الله عنه:" المحدثات اشترك[379] فيها أهل الظاهر وأهل الباطن، وهي أمور بعضها أحدث[380] في زمن[381] الصحابة، رضي الله عنهم، واستحسنوها واستمر بها العمل إلى هلم جرا، وبعضها استحسنها التابعون والمجتهدون من العلماء العاملين. ألم تسمع قول مولانا رسول الله، صلى الله عليه وسلم: " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي[382]"[383].

وقال عليه الصلاة والسلام: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"[384]. وقد قال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في التراويح:" نعم البدعة هذه"[385].

أما محدثات أهل الظاهر فمن ذلك: الاشتغال بعلم النحو، وحفظ غريب الكتب من اللغة، وتدوين أصول الفقه، والكلام في التعديل والتجريح وتمييز السقيم

---

[376]- ب: بطلبه.

[377]- سقطت من: س.

[378]- شطر من حديث، أخرجه أبو داود (كتب السنة- باب لزوم السنة، رقم: 4607)، والترمذي في العلم (رقم: 2678). قال الترمذي:"هذا حديث حسن صحيح".

[379]- "ب"و"س"و" نصرة الفقير": اشتركوا.

[380]- نصرة الفقير: حدث.

[381]- "ب"و"س": زمان.

[382]- نصرة الفقير: + "بأيهم اقتديتم اهتديتم".

[383]- شطر من حديث. أخرجه الترمدي في السنن (كتاب السنة باب لزوم السنة، رقم: 4607)، والترمذي في الجامع الكبير (كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (رقم: 2676). قال الترمذي:"هذا حديث حسن صحيح".

[384]- قال العجلوني:"رواه البيهقي، وأسنده الديلمي عن ابن عباس، بلفظ: "أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم". (كشف الخفا، 1: 147). ذكر ابن حجر في تلخيص الحبير، باب أدب القضاء، رقم: 2098)، 4: 190. ذكره السيوطي في الجامع الصغير، ونسبه للسنجري في الإبانة، وابن عساكر، وهو حديث ضعيف. والشطر الثاني من الحديث: أصحابي كالنجوم.." رواه ابن عبد البر في جامع العلم (2: 91) من حديث سلام بن سليم عن الحارث ابن غصين عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر. (جامع الأصول، 8: 556).

[385]- ورد الخبر عند البخاري (كتاب التراويح، باب فضل من قام رمضان، رقم: 2010).

من الصحيح، والكلام في الصفة والموصوف، والتغلغل في ذلك، والمدارس والتدريس فيها، والمحارب[386] وزخرفتها، والحمدلة في أول الرسائل، والاستدلال للمسائل، وتزويق المصاحف، والتوسع في أمور الدنيا من المآكل والمشارب والمساكن، ولبس الادبار والطيالسات، وتوسيع الأكمام، وتزويق العمائم وتكويرها. هلا أنكرت هذا كله، ورددته كما رددت محدثات أهل الباطن التي توصل [إلى الله][387]، وتدل على الله، ومجالستهم مع الله. وهي- أي محدثاتهم[388]- الفاتحة أدبار الصلوات، وذكر الله بالجمع، والتداول به والإعلان به والإفراد[389] لكل ذي وقت وقته في كل الأوقات، والكلام في دقائق التصوف، والمصافحة في كل وقت، والتسبيحات والإعلان بذلك ، وهي كلها مسندة إلى الأحاديث والآثار.

وقد اتفق العلماء على العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال. وهذه نوافل خيرات يتقرب بها إلى الله [كما قال مولانا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في أثر أهل الله:][390]" لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه[391]"[392]، الحديث. وأي قربة أعظم من هذه البدعة، وأي خير أعظم منها؟. ما أنت أيها المتفقه إلا في غفلة استولت عليك"[393]. ثم قال:" والبدعة تكلم عليها أهل العلم المتفننون[394]، وقسموها إلى أقسام الشريعة الخمسة[395]". قال الشيخ العلامة الحافظ القدوة، حجة الله في أرضه، عز الدين بن عبد السلام، آخر كتاب القواعد:" البدعة تنقسم إلى

---

[386]- س: المساجد.
[387]- ب: ساقطة من: ب.
[388]- سقطت من: س.
[389]- "ب"و"س"و" نصرة الفقير": إفراد.
[390]- العبارة من: "ب"و"س".
[391]- في نصرة الفقير تمام الحديث.
[392]- رواه الحكيم الترمذي، في نوادر الأصول، ج 1، ص 382و ج 2، ص 195 و 233، وختم الأولياء، ص 332، والأمثال من الكتاب والسنة، ص 133، وأدب النفس،ص 110، والفروق الصغيرة، 40أ، و منازل القربة، ص 45 و83. ورواه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجة والبيهقي وأبو يعلى والبزاز والطبراني وابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية، مع اختلاف في بعض اللفظ..
[393]- نصرة الفقير، م. س، ورقة 41أ- 41ب.
[394]- نصرة الفقير: المتفقهون.
[395]- "س": الخمس.

خمسة أقسام: واجبة، ومحرمة ومكروهة ومندوبة ومباحة"، قال: " والطريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة، فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، وإن دخلت في قواعد التحريم فهي محرمة، ["وإن دخلت في قواعد المندوب فهي مندوبة، وإن دخلت في قواعد المكروه فهي مكروهة، وإن دخلت في قواعد المباح فهي مباحة][396]". وهكذا فافهم. فللبدعة الواجبة أمثلة منها:

- الاشتغال بعلم النحو الذي به يفهم كلام الله تعالى وحديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم. فإن احتيج إليه فهو من قبيل الواجب لا سيما الأعجام الذين لا يعرفون اللسان العربي. وكذلك التعديل والتجريح وتمييز السقيم والصحيح؛ وهو فرض كفاية يحمله من قام به. وللبدعة المحرمة أمثلة منها: مذاهب القدرية والمرجئة والمجسمة والجبرية، كل ذلك حرام والرد عليهم من البدع الواجبة[397] يتعين على من قام به. وللبدعة المندوبة أمثلة منها: إحداث نوافل الخيرات المستحسنة: كمثل حزب الإدارة، والاجتماع للذكر أدبار الصلوات بكيفية معلومة، والتداول بذلك، وقراءة الفاتحة في كل شئ، والسبحات، وزيارة الإخوان. وجملة ما أحدثه[398] المتصوفة واستحسنه[399] العلماء سلفا عن خلف. وللبدعة المكروهة أمثلة منها: زخرف المساجد، وتزويق العمائم وتكويرها أشد، والتشديد في الفتيا، والرخصة فيها. وللبدعة[400] المباحة أمثلة منها: المصافحة عقب العصر والصبح. واختار الشيخ محيي الدين إن صافح[113-أ] من كان معه قبل الصلاة فمباح، وإن صافح من لم يكن معه قبل الصلاة فمستحب[401]، لأن المصافحة عند اللقاء سنة بالإجماع لا أعرف فيها تعارضا لأصحاب مالك للأحاديث الصحيحة الثابتة

---

[396]- ساقطة من الأصل. أتممناها من "س".
[397]- ب: الواجبات.
[398]-"ب"و"س"و" نصرة الفقير": أحدثوه.
[399]- "ب"و"س": استحسنوه.
[400]- "ب"و"س": والبدع.
[401]- س: فمستحبة.

الأسانيد[402] فيها"[403].(هـ) كلام عز الدين بلفظه من القواعد[404] فانظره لأن زيادة اختصرتها.

وانظر أيها المتفقه البليد، هذا التقسيم السديد، واعرف البدع وكيف ، وانظر أي وجه تُنكر به فقد أوضحت لك الطريق، حتى رجع ظلام ليلك شري وصلى الله على سيدنا محمد وآله". هـ كلام الإمام السنوسي رحمه الله تعالى.

402- "س"و"نصرة الفقير": الإسناد.
403- نصرة الفقير، م.س، ورقة 42أ.
404- القواعد الكبرى، 2: 337.

فصل:

وقد أردت أن أثبت ها هنا جملة من أحوال هذه الطائفة المنورة التي أنكرت عليهم، وعدت من البدع المحرمة، فمن ذلك لباس المرقعة، والمشي بالحفا، واتخاذ السبحة الغليظة وجعلها في العنق، والعصا والسؤال، وترك قول السلام عليكم، وعدم رده من بعضهم في بعض الأوقات، والاجتماع للذكر، والمداولة والإعلان به، لا سيما إن أشرفوا على المنازل، والذكر في المسجد، والرقص والشطح حالة الذكر، وغير ذلك مما له أصل في الكتاب والسنة وأفعال السلف الصالح ومن تبعهم من أكابر العارفين رضي الله عنهم أجمعين.

فأما المرقعة فقد تقدم ما يشهد لهم في ذلك من الأحاديث وأفعال الصحابة وغيرهم ما يغني المنصف المعترف، وغير المنصف لا تكفيه عدة كتب. قال ابن ليون:" أول من رقع آدم وحواء عليهما السلام، قال تعالى:﴿ **وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**﴾[405]"[406].

وأما المشي بالحفا، قال تعالى لموسى عليه السلام:﴿ **اخلع نعليك**﴾[407]، ففيه إشارة إلى الحفا، وثبت عنه عليه الصلاة والسلام، المشي بالحفا. قال العراقي[في ألفيته][408]:

يمشي بلا نعل ولا خف إلى   زيارة المريض، حوله الملا

وكذلك الأجلاء الصحابة[409]، رضوان الله عليهم، كانوا يمشون حفاة في الطين وغيره، ويدخلون المسجد ويصلون ولا يغسلونه، ذكره في المدونة. وأهل

---

[405]- طه، 121.
[406]- الإنالة العلمية من الرسالة العلمية، ورقة 61ب.
[407]- طه 12.
[408]- زائدة في: ب.
[409]- "ب"و"س": أصحابه.

الصفة كانوا يمشون حفاة، وعن وهب بن منبه، أن صالحا عليه السلام، كان يمشي حافيا. وقال صلى الله عليه وسلم:" اخشوشنوا وامشوا حفاة"[410]، نقله ابن ليون[411]، ونقل السيوطي في الجامع الصغير[412]، عنه عليه السلام أنه قال:" إذا تسارعتم إلى الخير فامشوا حفاة فإن الله يضاعف أجره على المنتعل"[413]. قال المناوي في شرحه:" إن قصد به التواضع والمسكنة وكسرالنفس الأمارة،[فإن الأجر على قدر النصب وما يقاسيه الحافي من تألم رجليه بنحو شوك وأذى وحرارة الأرض أو بردها فوق ما يحصل للمنتعل بأضعاف مضاعفة؛][414] قال ابن الجوزي:" من أهل العلم من يمشي حافيا عملا بهذا الحديث الموضوع وشبهه، وذلك مما تنزه الشريعة عنه، والمشي حافيا يؤذي العين والقدم وينجسها".هـ. والأوْجه أنه إنْ أمن تنجس قدميه ككونه[415] في أرض رملية مثلا ولم يؤذه فهو محبوب أحيانا بقصد هضم النفس وتأديبها، ولهذا ورد أن المصطفى، صلى الله عليه وسلم، كان يمشي حافيا ومنتعلا. وكان الصحب[416] يمشون حفاة ومنتعلين وعلى خلاف ذلك يحمل الأمر بالانتعال"[417].هـ. وقال في قوله عليه الصـــلاة والســـــلام: "إذا توضأ أحدكم فلا

---

[410]- رواه الطبري في معجمه الكبير وابن شاهين في الصحابة وغيرهما. راجع المقاصد الحسنة، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس العجلوني(1: 378)، والمطالب العالية للحافظ ابن حجر(كتاب اللباس: باب استحباب التنعم والترفه، 2: 262).

[411]- الإنالة العلمية، م. س، 16أ.

[412]- الجامع الصغير، 1: 317. (رقم: 524).

[413]- أخرجه الطبراني في الأوسط والخطيب في تاريخه، عن ابن عباس. ورمز إليه السيوطي بالضعف. (الجامع الصغير، 1: 317). قال المناوي:"ورواه عنه أيضا الحاكم في تاريخه والديلمي وفيه سليمان بن عيسى بن نجيع، قال الذهبي: كان يضع، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، وأقره عليه المؤلف في مختصر الموضوعات لكن يقويه بعض قوة حبر الطبراني من مشى حافيا في طاعة لم يسأله الله يوم القيامة عما افترض عليه لكن قيل بوضعه أيضا". (فيض القدير، 1: 317).

[414]- بين معقوفين أثبتناه من فيض القدير للمناوي.

[415]- س: لكونه.

[416]- س: الصحابة.

[417]- المناوي، فيض القدير، 1: 317.

يغسل[418] أسفل رجليه بيده اليمنى"[419]، ما نصه:" بل باليسرى تكريما لليمنى لأنهم كانوا يمشون حفاة، فقد يعلق نحو أذى أو زبل بأسفلها[420]، فلا يباشر ذلك بيمناه تكرمة لها، لما ذكره عبد الحق"[421].هـ

وأما اتخاذ السبحة[422] فقد ثبت عنه، صلى الله عليه وسلم، أنه أقر أصحابه على التسبيح بالتمر[423]. وكانوا يفعلون ذلك. وكان أبو هريرة، رضي الله عنه، يربط[424] في خيط خمسمائة عقدة، ويسبح بها بين يديه، صلى الله عليه وسلم، وأقره على ذلك. ولم أر فيها تعارضا لأهل العلم إلى هلم جرا. قاله الإمام السنوسي في نصرته[425]. وللحافظ السيوطي تأليف في هذا المعنى سماه: "**المنحة في أسانيد السبحة**"، فمن أراده فعليه به فإني ما طالعته ولا وقفت عليه. وأما غلظها وثقلها فحين كان الأصل مشروعا فأي ضرر في الفرع إن كبر أو صغر، وأي فرق بين الكبيرة والصغيرة. والعلل كما تدخل في الكبيرة تدخل في الصغيرة. وتكون شهرة إن قصدت للشهرة، كما تقدم، إذ أهل التجريد أحوالهم كلها شهرة لولا النية الصالحة [والحالة الصادقة][426]. وكل من كان مخلصا وكان صادقا في طلب الإخلاص بصحبة أهل الإخلاص فلا يضره، إنشاء الله، تغليظ ولا ترقيق، وإن عرض له شئ وأوقعه[427] فيما يخرجه عن الإخلاص فها هو بين يدي المخلصين

---

[418]- ب: فلا يغسل.

[419]- أخرجه ابن عدي في الكامل، عن أبي هريرة. وه مما بيض له الديلمي. ورمز إليه السيوطي بالضعف.(انظر الجامع الصغير : 1: 322). قال المناوي:"وذلك لأن فيه سليمان بن أرقم متروك والحسن عن أبي هريرة وهو لم يصح سماعه منه وأبو إبراهيم محمد بن القاسم الكوفي كذبه أحمد". (فيض القدير، 1: 322).

[420]- س: يعلق نجس بأسفلها.

[421]- المناوي، فيض القدير، م. س. 1: 322.

[422]- ورد في الطرة من "س" تعليق ونصه:"الحمد لله، سئل الولي الصالح القطب الغوث الزاهد العارف العالم الحجة أبو العباس سيدي احمد بن يوسف الراشدي الملياني عن السبحة هل يجوز أخذها باليمين فقال: نعم، يجوز ذلك، وهي كالمهماز للفرس". (هـ)

[423]- "ب"و"س": في التمر.

[424]- س: ربط.

[425]- السنوسي، نصرة الفقير، م. س. ورقة 144.

[426]- "ب"و"س": الحال الصادق.

[427]- س: وقع.

من أهل التربية، فإن المريض إذا لازم الطبيب لابد أن يبرأ. وقد رئيت سبحات[428] غليظة جدا، وثبت عن أكابر العارفين ولو لم يكن إلا الشيخ الأكبر، الحجة الأشهر، مولانا عبد السلام بن مشيش، رضي الله عنه، لكان كافيا، فإنه حدثني من أثق به أنه رأى سبحة غليظة جدا عند بعض الثقات من أولاد الشيخ المذكور، وذكر له أنها كانت عند الشيخ إلى أن مات، وإلى الآن لم تزل عندهم. وذكر لي أن ركبته كانت مريضة وكان بها وجع يمنعه من المشي إلا بمشقة، فأخذ تلك السبحة ووضعها عليها فلما قام وجد ركبتيه كأنه لم يكن بها بأس، ولا وجعته أبدا. وسمعت شيخنا الإمام، رضي الله عنه، يقول:" كانت لبعض الأشياخ سبحة عظيمة ثقيلة غاية، محمولة معلقة على جرارة، فكان إذا جذب الحبة الواحدة وسقطت على أخرى يسمع لها صوت عظيم. فقيل له في ذلك فقال: لو تأتى لنا أن نذكر الله بالجبال لفعلنا". وذكر لي بعض الثقاة أنه وقف على هذه الحكاية منصوصة في بعض التآليف. وذكر الشعراني في طبقاته الصغرى أن سيدي أحمد الكعكعي[429] كانت له سبحة فيها ألف حبة كبارا، فسرق إنسان منها سبع حبات فرأى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: يا أحمد فلان سرق من سبحتك سبع حبات ولك كذا وكذا يوما تصلي علي ناقصا من العدد. فذهب إلى ذلك الفقير فقال: صدق النبي، صلى الله عليه وسلم، وأخرجها له من رأسه فردها إلى السبحة. قال: وما رأيت سبحة أنور منها تكاد تضئ من كثرة الأوراد عليها. وبلغنا أنها كانت تدور بنفسها إذا أبطأ الشيخ عن وقت الورد، فيعلم دخول الوقت". هـ. وكل من له أدنى نصيب من سكون الذكر

---

[428] - ورد في الطرة من "س" ما نصه:" ذكر الإمام العالم العلامة سيدي العربي الفاسي في مرآة المحاسن أنه كان لسيدي يوسف الفاسي سبحة من عود العُنّاب فيها مائة حبة، لا تفارقه. ثم قال: والسبحة من شعار القوم، وقد كانت للجنيد وغيره، ولها أصل في السنة، وقد ألف في ذلك شيخ الإسلام الأسيوطي". (هـ) كلامه (هـ) من خط بعض الفضلاء".

[429] - س: الكعكي. سيدي أحمد الكعكي، كان زاهدا عابدا كثير الغوص في علم التوحيد، الطبقات الكبرى للشعراني،537.

في قلبه أو له ولوع ومحبة وجد السبحة الغليظة أفضل من الرقيقة في الذكر، ولذلك قال بعضهم: السبحة الفاخرة تنشط الباطن، والسبحة الرقيقة تنشط الظاهر".

قلت: ولا يفهم هذا إلا أهل الأذواق الصريحة، والمعاني الصحيحة.

وأما جعلها في العنق فقد ثبت عن الثقات وأهل الورع من العلماء والصالحين، ورأينا كثيرا ممن يظن بهم الخير يجعلونها في أعناقهم. قال في نوازل جامع المعيار:" وذكر القاضي في المدارك ما نصه:"قال بعضهم: دخلت على سحنون وفي عنقه تسبيح يسبح به"[430]، وأنت تعلم مرتبة سحنون علما وورعا، هل يقدم على هذا إلا بدليل؟"[431]. والعجب من هؤلاء العلماء الذين ينكرون مثل هذا على الفقراء وهم يجالسون الجبابرة والظلمة صباحا ومساء، ويرون عليهم المجاديل الغليظة من الحرير الخالص كالأفاعي، ولا يقولون هذا قبيح أو حرام أو بدعة. فلله عليهم هل تخصيص الإنكار بالفقراء دون الظلمة في هذا وشبهه من الانتصار للدين، أو من الإفلاس من نور اليقين؟. إنا لله وإنا إليه راجعون،﴿**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾[432].

وأما العصا فهي سنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولم تخرج يد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولا يد أصحابه حتى توفاهم الله. قال الحسن البصري[433]، رضي الله عنه: "في العصا ست خصال: سنة الأنبياء، وزينة الصلحاء، وسلاح على الأعداء، وعون للضعفاء، وغم للمنافقين، وزيادة في الطاعات". وقيل: "إذا كان مع المؤمن العصا يهرب منه الشيطان، ويخشى منه

---

[430]- ترتيب المدارك، 4: 77.

[431]- الونشريسي، المعيار المعرب، 11: 56.

[432]- هود، 5.

[433]- الحسن بن يسار البصري- أبو سعيد- (110هـ/ 728م). تابعي، كان إمام أهل البصرة.
ينظر: تهذيب التهذيب، وفيات الأعيان، حلية الأولياء 2: 131 ، الأعلام، 2: 226. إحسان عباس، الحسن البصري،

المنافق والفاجر، وتكون قبلته إذا صلى، وقوته إذا عيي[434]". وقيل لبعض الزهاد: "ما لك تمشي على العصا ولست بكبير ولا مريض؟. قال: لأعلم نفسي أني مسافر، وفي ذلك يقول بعضهم: (طويل)

حملت العصا، لا الضعف أوجب حملها   علي ولا أني تحنيت من كبـــــرْ

ولكنني[435] ألزمــــت نفسي حـــملـــها   لأعلمها أن المقيم على سفـــــرْ

وفي اختصار ابن ليون لرسالة الششتري ما نصه:" وأما حمل الإشارة أو القضيب فالإشارة المخصرة، بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الصاد المهملة، وهي عود أرق من العصا، وأغلظ من القضيب، طولها[436] أربعة أشبار أو نحوها، يحملها الفقراء في أيديهم ويحملون أيضا السهم. والأصل فيها السترة في الصلاة. وروى أبو بكر بن شيبة أنه، عليه الصلاة والسلام، قال:" ليستتر[437] أحدكم للصلاة[438] ولو بسهم"[439]. وكان له، عليه الصلاة والسلام، مخصرة وقضيب وعصى وعنزة، وهي بفتح العين والنون بعدهما زاي ثم هاء التأنيث. وكانت العرب تحمل المخاصر، وتخطب وهي في أيديها، ويتخذونها في مجالسهم.(طويل)

مجالسهم حفظ الحديـــث وقولـــهم،   إذا ما قضوا في الأمر: رمي المخاصر

---

434 - "ب"و"س": أعيا.

435 - س: ولكني.

436 - "ب"و"ابن ليون": طوله.

437 - "ب"و"ابن ليون": ليستتر.

438 - "ب" و"ابن ليون": لصلاته.

439 - رواه البيهقي (السنن الكبرى، كتاب الصلاة، 2: 270)، بلفظ:" ليستر أحدكم صلاته ولو بسهم".

يصيبون فصل القول في كل خطبة إذا وصلوا أيمانهم بالمخاصر[440]

وأما السؤال فينقسم قسمين: سؤال بقصد قوت الأشباح، وسؤال بقصد قوت الأرواح. فأما السؤال بقصد قوت الأشباح فالأصل فيه الجواز لمن عجز عن الكسب، قال تعالى:﴿ **وأما السائل فلا تنهر**﴾[441]. وشرطه معلوم عند أهل الظاهر، وكذلك بالنسبة لمن تجرد عن الأسباب، واشتغل بذكر مولاه الوهاب. وله شروط أربعة: عدم التشوف للأسباب، وعدم الادخار، وعدم رؤية الخلق في العطاء والمنع، وألا يأخذ إلا ما يوافق العلم، أعني علم الظاهر. .

فأما التشوف للأسباب فقد قال إبراهيم الخواص، رضي الله عنه:" ما دامت الأسباب[115-أ] في النفس قائمة فالسبب أولى. والأكل بكسب أحل له لأن القعود عن الأسباب لا يصلح لمن لا يستغني عن التكلف". هـ. وعلى هذا تحمل أحاديث النهي عن السؤال، ولذلك لما سأل حكيم بن حزام النبي، صلى الله عليه وسلم، فأعطاه، ثم سأله فأعطاه، ثم قال له: يا حكيم بن حزام هذا المال خصرة[442] حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه. ولأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه"[443]، الحديث. وقال الشيخ زروق، رضي الله عنه:" فدله[444] عليه السلام على الاكتساب لما تعلقت نفسه بالأسباب، ولم يقل ذلك لغيره من أهل الصفة، وكانوا نحوا من

---

[440]- ابن ليون، الإنالة العلمية ، ورقة 17أ. والبيتان من قصيدة لصفوان الأنصاري، وهما ملفقان: وردا في القصيدة على الشكل التالي:

يصيبون فصل القول في كل موطن * كما طبقت في العظم مُدية جازر

والبيت الأخر ورد كالتالي:

ولا الناطق النخار والشيخ دغفل * إذا وصلوا أيمانهم بالمخاصر

ينظر: البيان والتبيين، 1: 25، ووردا بهذا اللفظ الذي أورده المؤلف، انظر البيان والتبيين، 3: 42.

[441]- الضحى، 10.

[442]- ب: خضرة.

[443]- انظر ابن كثير، (البداية والنهاية، 8: 68) بلفظ مختلف.

[444]- س: فدل.

ثمانين وذلك لانتفاء العلة التي ذكرها، وهي الإشراف منهم فدل على تعليق الحكم بسكون النفس أو حركتها، فافهم". هـ. قال في تنبيه ابن عباد: "وقد سأل الناس عند الحاجة والفاقة نبي الله موسى والخضر، عليهما السلام، لقوله تعالى: ﴿**استطعما أهلها**﴾[445]". وكان أبو جعفر الحداد[446]، وهو شيخ الجنيد، رضي الله عنهما، يسأل من باب أو بابين بين العشاءين، ويكون ذلك معلومه إلى بعد حاجته من يوم أو يومين، وكان له مقام في الزهد والتوكل. قال أبو طالب [المكي، رضي الله عنه][447]:" ولم يعب هذا عليه عموم ولا خصوص". ونقل عن أبي سعيد الخراز[448]، رضي الله عنه، أنه كان يمد يده عند الفاقة، ويقول: ثم شيء لله". ونقل عن إبراهيم بن أدهم، رضي الله عنه، أنه كان يعتكف[449] بجامع البصرة مرة وكان يفطر في كل ثلاثة أيام ليلة، وليلة إفطاره يطلب من الأبواب. وكان الثوري[450]، رضي الله عنه، يسأل في البوادي من الحجاز إلى صنعاء اليمن، وقال: كنت أذكر حديثا في الضيافة، قال: فيخرجون إلي طعاما؛ فأتناول منه حاجتي وأترك ما بقي"[451]. (هـ).

وأما الادخار فإنه لا يأخذ إلا ما هو مفتقر إليه في الحال ولا غنى له عنه، فإن أخذ فوق الكفاية وادخره عاد غنيا. والسؤال لا يجوز لغني، وقد يكون وثوقه بما هو مدخر عنده لا بما في يد الله من النعم. نعم إن صح توكله واعتماده على مولاه، وكان عنده وجود الشيء وعدمه على حد سواء، وأراد أن يدخر لا لنفسه بل لينفق ذلك على إخوانه وغيرهم فلا بأس، إذ يكون حينئذ سؤاله لا لنفسه. والسؤال

445- الكهف، 77.
446- أبو جعفر الحداد، صحب أبا تراب وأكابر العباد. ينظر: حلية الأولياء، 10: 339- 340.
447- العبارة سقطت من: غيث المواهب.
448- أبو سعيد الخراز، واسمه أبو عيسى(ت.279هـ/ 862م)، وهو من أهل بغداد. ينظر: الحلية، 10: 228- 232، صفوة الصفوة، 2: 435، طبقات الشعراني، 132- 133.
449- غيث المواهب: معتكفا.
450- الثوري ، سفيان بن سعيد.(ت. 161 هـ / 778 م) . ترجمته في الحلية 6 : 356 – 393 .
451- ابن عباد، غيث المواهب ، 2: 65- 66.

مطلوب للغير[452] ومندوب إليه. وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم، لغيره في المسجد. وفي صحيح مسلم[453] عن جابر بن عبد الله قال:" شهدت مع النبي صلى الله عليه وسلم، الصلاة يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة، ثم قام متوكئا على بلال، فأمر بتقوى الله، وحث[115-ب] على طاعته، ووعظ الناس وذكرهم، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن، وقال: "تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم". فقامت امرأة من وسط النساء، سفعاء[454] الخدين، أي متغيرتهما بالسواد، فقالت: "لم يا رسول الله؟". فقال: "لأنكن تكثرن الشكاية[455]، وتَكْفُرن العشير". فجعلن يتصدقن من حليهن، يلقين في ثوب بلال أقراطهن وخواتمهن". وفي صحيح البخاري[456]، في هذا الحديث، أنه عليه السلام، أتى النساء فوعظهن وأمرهن بالصدقات، وبلال خلفه يأخذ في ثوبه كلما ألقي إليه.

ومن فعله، صلى الله عليه وسلم، هذا أخذ المشايخ السؤال بالزنبيل. قال ابن ليون التجيبي:" وأما المشي بالزنبيل فهو طريقة استخرجها المشايخ من السنة"[457]. قال: "وكيفية المشي به[458] أن يتوضأ المتبرع بذلك، ويصلي ركعتين ثم يشد وسطه بمنطقة[459][وهي المباربند عند العجم، ومعنى هذا مملوك مشدود الوسط][460] ثم يأخذ الزنبيل بيمينه ويدفعه للذي يكون معه وهو دونه في الرتبة بعدما يلقي الشيخ فيه شيئا على سبيل البركة. ثم يمشي ويعظ ويذكر، ويحض على الصدقة،

---

[452]- س: للغير مطلوب.

[453]- صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، المجلد الثاني، ص 603- 604.

[454]- سفعاء الخدين، السفعة، وزان غرفة، سواد مشرب بحمرة. وسفع الشي: من باب تعب، إذا كان لونه كذلك، فالذكر أسفع، والأنثى سفعاء.

[455]- س: الشكاة.

[456]- صحيح البخاري، كتاب العيدين(العلم الذي بالمصلى)، 443. وصحيح مسلم (كتاب صلاة العيدين، رقم: 885)، 2: 603.

[457]- التجيبي، الإنالة العلمية، ورقة 14ب.

[458]- الإنالة العلمية: بالزنبيل.

[459]- "س"و" الإنالة العلمية": بمنطقته

[460]- ما بين معقوفين أثبتناه من "الإنالة العلمية".

ويجعل[461] الآخر في الزنبيل كلما يلقى إليه من فضة أو خبز أو لحم أو غير ذلك، ولا يمسه بيده، ولا يتصرف في شئ منه؛ فإذا رجع دفعه لخادم الزاوية. والمتطوع بذلك لا يترك هذا العمل، لأن أحب الأعمال إلى الله أدومها. فإذا لم يكن بالبلد[462] فقراء أطعم به المسجونين والمساكين"[463]. وفي نوازل جامع المعيار: للزنبيل عشرة شروط[464]، انظرها فيه.

وأما رؤية الخلق في العطاء والمنع فهي[465] شأن أهل الغفلة والطمع لا شأن أهل اليقظة والورع؛ إذ الفقير الحقيقي لا يرى إلا مولاه في جميع ما به يتولاه، وبذلك يصح مقام القناعة والتوكل ويسقط عن قلبه هم الرزق، ويزول[466] به عنه علاقات الخلق. وإن لم يكن هذا الوصف كان عبدا للناس، كما قال ابن عباد:"مولها قلبه إليهم، فيكثر طمعه فيهم، ورغبته فيما في أيديهم، واستشرافه إليهم فيقع، بسبب ذلك، في كبائر الذنوب من معاصي القلب والجوارح مثل المداهنة والنفاق والرياء والتصنع والتلبيس والغش وعدم النصيحة وقلة الشفقة وغير ذلك من الصفة[467] المذمومة المناقضة للعبودية لله، عز وجل. قال يحيى بن معاذ، رضي الله عنه: من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وكل إلى المخلوقين"[468].هـ.

وأما عدم أخذه ما لا يوافق العلم فقد قال الشيخ أبو طالب المكي، رضي الله عنه: وينبغي لمن لا معلوم عنده من الأسباب أن يتورع في أخذها، ويتخير المعطين لها كما يتخير أهل المكاسب في الاكتساب لأن لله تعالى في كل شئ حكما.

461- س: يأخذ.
462- الإنالة العلمية: في البلد.
463- الإنالة العلمية، م.س، ورقة 15أ.
464- الونشريسي، المعيار المعرب، م.س. 11: 206- 207.
465- س: فهو.
466- س: وتزول.
467- "س"و"غيث المواهب": الصفات.
468- ابن عباد، غيث المواهب العلية، 2: 55.

والقعود عن المكاسب لا يسقط[116-أ] أحكامها[469]. والقاعد عن الطلب لا تسقط أحكام الطلب عنه[470]. ولأن ترك العمل عمل يحتاج إلى علم. ولم تكن سيرة الفقراء الصادقين أن يأخذوا من كل أحد ولا في كل وقت، ولا يأخذوا كل ما يعطون مما يزيد على كفايتهم إلا أن يكونوا ممن يخرجونه إلى غيرهم"[471]. وهذان الشرطان هما المعنيان بقول ابن عطاء الله:" لا تمدن يدك إلى الأخذ من الخلائق إلا أن ترى المعطي فيهم مولاك. فإن كنت كذلك فخذ ما وافقك العلم"[472]، فمن ذلك ألا يأخذ إلا من يد بالغ عاقل تقي، إلى غير ذلك.

وقد سمعنا من الشيخ، رضي الله عنه، النهي عن سؤال الظلمة والصبيان والنساء. وأما الاستشراف إلى الرزق مع قطع النظر عن الخلق[473]، فقال الإمام ابن عباد: "لا يضره ذلك لأنه خلق ضعيف ذو[474] فاقة، ورزقه معلوم لابد منه، فاستشرافه إلى الرزق في الحقيقة استشراف إلى الرازق، ولا ينافي ذلك حقيقة العبودية، ولكن إن كثر منه الاستشراف إلى الرزق وشغل[475] صاحبه[476] عن دوام المحاضرة والمناجاة مع الحق فليصرف نفسه[477] عن ذلك صرفا جميلا، ولينهج بها[478] من التعلق والتوثق بالله تعالى سبيلا"[479]. هـ. هذا حكم قوت الأشباح على جهة الإيجاز والله الموفق بمنه.

وأما السؤال بقصد قوت الأرواح فالأصل فيه الاستحباب وقد يكون واجبا، والغني والفقير فيه سواء ولكن الغني يخرج عن جميع ما يأخذه، والفقير حكمه حكم

469- غيث المواهب: أحكام المطالب.
470- غيث المواهب: المطالب.
471- غيث المواهب، م،س، 2: 61.
472- الحكم، 137.
473- س: نظره إلى الخلق.
474- س: ذا.
475- "ب"و"س"و" المواهب العلية": وشغلت.
476- غيث المواهب: صاحبها
477- غيث المواهب: فليصرفها.
478- غيث المواهب: لها.
479- غيث المواهب، م،س، 2: 58.

السائل قوت شبحه[480]. وصاحب هذا القسم له حالتان: عليا وسفلى. وإن شئت يختلف باختلاف القوة والضعف، فالحالة العليا وهي حالة القوة، وحين يكون العلم بأن سؤاله من مولاه وعطاءه ومنعه منه غالب عليه وإن سرقه النظر للخلق في بعض الأوقات فلا ضرر عليه، إذ الحكم[481] للغالب. والحالة السفلى، وهي حالة الضعف، حين يكون نظره في سؤاله إلى الخلق، فيرى العطاء والمنع منهم، وعلمه بأن سؤاله من الله ضعيف أو لا علم أصلا. والحكم للغالب ولا ضرر عليه في هذه الحالة أيضا لنيته وقصده في سؤاله لا لحظه؛ فالحالة الأولى: السمن[482] والعسل، والحالة الثانية: سمن بلا عسل؛ وذلك لأن سؤاله حالة نظره إلى الخلق ونظر الخلق إليه يذيب النفس ويميتها، والمدار كله على موت النفس وذوبانها، وهذا كله بالنسبة للنفوس الكبيرة، وأما النفوس الحقيرة فقد تعيش وتكبر بالسؤال، ولذلك تجد بعض الفقراء لا يثقل عليه سؤال قط وذلك لغلبة الحظ والهوى. قال العارف[116-ب] بالله شيخ شيخنا سيدي علي بن عبد الرحمن، رضي الله عنه:" اعلم أني كنت في زمن الصبا أسمع أهل الدنيا يتمازحون مع بعضهم بعضا ويقولون: السعاية هي الملك الأصغر، فلما أدركت زمن الكهولية وعقلت وفهمت وجدتها والله هي الملك الأكبر؛ لأني نظرت وحققت فلم أجد شيئا أسرع لقتل النفس من تذللها للأقران خلافا لمن قال إنها تموت بالتذلل لله مع أن التذلل لله حاصل لكل أحد حتى الكافر، لأن التذلل للعظيم ليس بتذلل وإنما التذلل حقا هو التذلل للحقير وهو العبد". (هـ)[483].

قلت: والله لربما يهون على بعض النفوس الخروج عن الأموال والأولاد وأكل العشب ونبات الأرض ولا يهون عليها السؤال لأنه لا حظ لها فيه وإنما فيه

480- س: لشبحه.
481- س: فالحكم.
482- س: كالسمن.
483- نصيحة المريد، لعلي بن عبد الرحمن الجمل، 293.

حظ الروح وقوتها. ومن قال إن للنفس فيه حظا فليتقدم إليه. وقد حكي أن رجلا جاء إلى أبي يزيد البسطامي[484]، رضي الله عنه، فقال:" يا أستاذنا[485] منذ ثلاثين سنة أصوم النهار، وأقوم الليل وقد تركت الشهوات ولا أجد في قلبي من هذا الذي تذكر شيئا، وأنا أومن بكل ما تقول وأصدق به. فقال له: لو صمت ثلاثمائة سنة وأنت على ما أراك عليه لا تجد لذة[486]، قال: فلم يا أستاذ؟. قال: لأنك محجوب بنفسك، قال: أفلهذا الداء دواء حتى ينكشف الحجاب؟. قال: نعم، ولكنك لا تقبل ولا تعمل، قال: بل أقبل وأعمل ما تقول، فقال له أبو يزيد: اذهب الساعة إلى الحجام واحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة، وعلق في عنقك مخلاة واملأها جوزا، واجمع حولك الصبيان وقل بأعلى صوتك: يا صبيان، من صفعني صفعة أعطي له[487] جوزة. وادخل سوقك الذي تعظم فيه وأنت على هذه الحالة حتى ينظر إليك كل من عرفك، فقال: يا أبا يزيد، سبحان الله، تقول [لي مثل هذا][488]،[أيجوز لي أن أفعل هذا؟][489]. فقال له: قولك سبحان الله شرك، فقال: وكيف ذلك؟. قال: لأنك عظمت نفسك فسبحتها، فقال: يا أبا يزيد، لست أقدر على هذا ولا أفعله، ولكن دلني على غير هذا كي أفعله، فقال أبو يزيد: ابدأ بهذا قبل كل شئ حتى يسقط جاهك وتزول نفسك، ثم بعد ذلك أعرفك ما يصلح لك، قال: لا أطيق هذا، قال: قد قلت لك إنك لا تقبل ولا تعمل وأنا أعلم". (هـ)[490].

[484]- أبو يزيد البسطامي، طيفور بن عيسى (261هـ / 874م) أحد مشايخ الصوفية، وله مقامات ومجاهدات. ينظر: حلية الأولياء، 10: 33، صفة الصفوة، 4: 107- 114، طبقات الشعراني، 110- 112، شذرات الذهب، 2: 143، البداية والنهاية، 11: 35، طبقات السلمي، 67، سير أعلام النبلاء، 13: 86- 89، الطبقات الكبرى للمناوي (الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية) 1: 651- 668.

[485]- س: يا أستاذ.

[486]- "ب"و"س": ذرة.

[487]- س: أعطيته.

[488]- "ب"و"س": لمثلي هذا.

[489]- أو يحسن أن أفعل مثل هذا؟ العبارة من: "ب"وس".

[490]- أورد الخبر عبد الرؤوف المناوي في طبقاته الكبرى (1: 667).

وبالجملة فأقسام السؤال أربعة: سؤال مع العلم دون الحاجة، وسؤال مع العلم والحاجة، وسؤال مع الجهل والحاجة، وسؤال مع الجهل دون حاجة؛ فالقسمان الأولان[491] سؤال الفقراء والأغنياء[492] لقصد قوت الأرواح، وتقدم أن لأهل[117-أ] هذا القسم حالين[493]، والقسم الثالث: سؤال الفقير لقصد[494] قوت جسده فقط، والرابع: سؤال الغني لقصد قوت جسده أو الفقير القادر على الكسب[495]. والإلحاح في السؤال لا ينبغي لكل سائل ولا يفعل ما يفعله بعض الجهال بآداب السؤال من التردد مرتين أو مرات في مكان واحد في وقت واحد، ويقول أعاود وهم[496] فإن القلب[497] بيد الله. فإن قالوا هذه الأحوال فيها تشويه للخلقة وتعريض للطعن فيهم والوقوع في أعراضهم وكل ذلك حرام. فأقول: إن حملهم على ذلك ما ظننت[498] بهم من الشهرة وغيرها من العلل فنعم ما قلتم وبئس ما يفعلون؛ وإن حملهم على ذلك حب الله ورسوله فآثروا الله بالسبد واللبد[499]، وهجروا[500] في مرضاته الأهل والولد، وباعوا نفوسهم لمالكها ومعتقها، وقنعوا من الدنيا[وبلغها بعلة][501] بعلقها، واستبشروا بمبايعة الجليل، وقالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فبئس ما ظننتم ونعم ما يفعلون.

وقد تقدم أن الأحوال إنما تصلح أو تفسد بصلاح[502] النية أو فسادها، وأي واحد من هذه الطائفة في هذا الزمان المسكين بلغ في التخريب مبلغ السادات

---

491 - س: فالقسمين الأولين.
492 - "ب"و"س": الفقير والغني.
493 - "ب"و"س": حالتان.
494 - س: بقصد.
495 - زيادة من "س".
496 - ب: عاودوهم.
497 - ب: القلوب.
498 - ب: ما ظننتم.
499 - ورد في طرة "س" عبارة:" قال في المختار ما له سبد ولا لبد، بفتح الباء فيهما: أي قليل ولا كثير" (هـ).
500 - ب: وهاجروا.
501 - العبارة من: ب.
502 - ب: بإصلاح.

الماضين، واعتراضهم[503] على هؤلاء فيه اعتراض على أولئك. أما بلغكم أن مولانا عبد السلام بن مشيش، [رضي الله عنه][504]، أنه كان يلبس جلابة من شرك التوت، وقلنسوة من أبرد[505]. أما ثبت عندكم أن سيدي أبا يعزى لبس الحصير سنين حتى اشتهر بأبي الحصير وغيرهما ممن لا يحصون كثرة. فلله عليكم يا فقهاء تطوان هذه الأحوال التي أنكرتم على هؤلاء الإخوان، الذين اشتهروا بها بعد ما كانوا مشهورين بالفتوى والتدريس وغير ذلك. وكانوا من شدة مراقبتهم للخلق لا يقدرون على تعرية رؤوسهم، ولا المشي بالحفا هنيئة فضلا عن غير ذلك، فصاروا الآن، من شدة مراقبتهم للحق، لا يلتفتون إلى الخلق على أي حالة كانوا:

هِمْ في هوى المحبوب   ولا تبـــالــــي

مع تحمل جميع ما يبرز لهم من جميع الخلق، هذا كله مما يشهد لهم بالسنة والتخصيص، أو بما رميتموهم به من البدع [لكن غلب العجز والكسل][506] والتلصيص. وتشويه الخلقة إنما يكون[بإساءة الخلق، وحسن الخلقة لا يكون إلا بحسن الخلق، وحسن الخلقة لا يكون إلا بحسن الخلق. فأي تشويه لخلقة][507] من حسن خلقه حتى تحمل أذى الصغير والكبير، وأي خلقة وهيئة حسنة لمن ساء خلقه حتى تعرض لإذاية المنسوبين إلى الله عز وجل. ولما كان خلقه، صلى الله عليه وسلم، أعظم من أن يحاط به، وأجل من أن يتوصل إلى حقيقته بالعلم أو بالعقل، لقوله تعالى:﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم**﴾[508]. كان خلقه في غاية الحسن وغاية البهاء حتى قصرت عبارات الفصحاء عن وصفه، وكيف يوصف حسن من الشمس

503- ب: واعتراضكم.
504- سقطت من: س.
505- س: أبردي.
506- ب: البدعة.
507- العبارة من: ب.
508- القلم، 4.

والقمر من حسنه، صلى الله عليه وسلم وعلى آله. وأي واحد منا تمنطق[509] بإهاب كبش كما فعل الصحابي الجليل مصعب بن عمير، رضي الله عنه، بعد أن كان يلبس الحلة بمائتي درهم، وقد تقدمت حكايته. وتأملوا قوله، صلى الله عليه وسلم، حين رآه فأداه حب الله ورسوله إلى ما ترون، ولم يقل هذه الحالة فيها شهرة، أو تشويه للخلقة؛ بل قال لضمرة بن ثعلبة، رضي الله عنه، حين رآه عليه حلتان[510] من حلل اليمن: يا ضمرة، أترى ثوبيك هاذين مدخلاك الجنة؟. فقال: يا رسول الله، لئن استغفرت لي لا أقعد حتى أنزعهما، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: اللهم اغفر لضمرة. فانطلق سريعا حتى نزعهما عنه، كما تقدم، وذلك لعلمه، صلى الله عليه وسلم، بأن الجمال في الباطن[511] يورث الجلال في الظاهر[512]، والجلال في الظاهر يورث الجمال في الباطن. والمطلوب من العبد أن يكون جلالي الظاهر، جمالي الباطن، كحاله صلى الله عليه وسلم، إذ كان ظاهره ذلا عبودية، وباطنه عزا حرية، أو نقول: ظاهره أرضيا، وباطنه سماويا، أو نقول: ظاهره فرقا، وباطنه جمعا، أو ظاهره صحوا، وباطنه سكرا، أو ظاهره شريعة، وباطنه حقيقة. وهكذا قال في القوانين:" صاحب الجلال مغبون، وصاحب الجمال مفتون، والجامع بينهما كامل مكمل"[513]، ومنه قول الإمام مالك:" من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينما فقد تحقق"[514]. وفي نصرة الفقير:"ألا وقد أجمع أهل الظاهر والباطن أن الشريعة من غير حقيقة زندقة، والحقيقة من

509- س: تنطق.
510- في الأصل: حلتين.
511- ب: الظاهر.
512- ب: الباطن..
513- أبو المواهب التونسي، رسالة الإشراق إلى كل الصوفية بجميع الآفاق، القانون 13: قانون الولاية العامة:" ضابط: صاحب مشهد الجمال ضعيف المقتدي به غوي، وصاحب مشهد الجلال هادي مهتدي قوي، والكامل من شاهد جلال الجمال وجمال الجلال".
514- ورد في الطرة من "س"، تعليق ونصه:"هكذا نسبه غير واحد من الأئمة لإمامنا مالك، رضي الله عنه. ونسبه العارف الشعراني لشيخه العارف بالله الكازروني، رحمه الله، كما في ترجمته من الطبقات الكبرى، ولا مانع من كونه مقولا لهما فلذلك يعبر غير واحد بقوله: قالوا: من تفقه..." والله أعلم كاتبه.

غير شريعة زندقة"[515]. وفي مفتاح الفلاح:" الوقوف مع ظاهر الإسناد شرك، والانطلاق مع الحقيقة تعطيل، ومقام الهداية فيما بين ذلك؛ لأن كل شئ له ظاهر وباطن، فالمتمسكون من النقول بظاهرها يقال لهم الظاهرية، والمتمسكون بباطنها يقال لهم الباطنية، والجامعون بين الظاهر والباطن هم أهل السنة والجماعة، إذ السنة محتوية على الظاهر والباطن والجماعة هم أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وكلهم جامعون بين الظاهر والباطن، أعني بين الشريعة والحقيقة، والذين هم على قدمهم جامعون بين الظاهر والباطن هم الصوفية الأبرار والسادات الأخيار، رضي الله عنهم أجمعين. فإذا علمتم هذا معشر الفقهاء فما حجتكم عند الله ﴿**يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا] وما عملي من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا**﴾[516]، الآية. يوم يقال لكل واحد منكم:﴿ **اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**﴾[517]، وما عذركم في إذاية هؤلاء الذين جمعوا بين الظاهر والباطن؟. وفي صحيفة من يكون ذلك الشتم والسجن وغير ذلك مما فعلتم بهم؟.

وتقدم أننا سمعنا الزواق يسب شيخنا الإمام، وقدوتنا الهمام سيدنا ومولانا العربي، الجامع بين الكسبي والوهبي، العنصر النبوي والشريف الدرقوي، رضي الله عنه، مرتين أو ثلاثا. ما ذاك[518] إلا في صحيفتكم، وكذلك كل من اقتدى بكم، وتعرض لهم بالسب والشتم والإذاية، إلى هلم جرا فإنما ذلك في صحيفتكم، لقوله صلى الله عليه وسلم:" من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم

---

[515]- السنوسي، نصرة الفقير، م.خ. ورقة 140.
[516]- آل عمران، 30.
[517]- الإسراء، 14.
[518]- س: وما ذلك.

القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة"[519].

وأين أنتم من العلماء، هل من الجامعين بين الظاهر والباطن؟. لا والله، أو من الواقفين مع الظاهر الوقوف الحقيقي؟. لا والله، إذ الظاهر الحقيقي لابد أن يوصل إلى الباطن أو لشيء منه، والتقوى الباطنة لا تنال إلا بالتقوى الظاهرة. وأنتم ليست عندكم تقوى ظاهرة ولا علم حقيقي، وإنما عندكم صورة العلم وصورة التقوى. وإن شككتم في قولي، ولم تتبين لكم صحته، فليدخل كل واحد منكم رأسه معه، وليتأمل في ذلك الجمع الذي اجتمعتم، والاتفاق الذي اتفقتم على سجن الفقراء القادمين من حرم مولانا عبد السلام، رضي الله عنه ونفعنا ببركاته، وجعل السلسلة في رقبة فقيه منهم، إلى غير ذلك مما تقدم بمجرد سوء الظن، هل ذلك من التقوى والعلم، أو من الغي و الظلم؟. ﴿**والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾[520].

وأما ترك الابتداء بالسلام وعدم رده، فحاشى ومعاذ الله أن نقول به، أو نكون من أهله، وكيف يترك السلام من هو غريق في سنة خير الأنام، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وإن وقع من بعض الفقراء مرة على سبيل الندور[521] والشذوذ فليلتمس له أحسن المخارج والمعاذير[522]، سيما وللفقهاء[523] معاذير عديدة نحو العشرين ففوق، وإن كان بعضها راجحا وبعضها مرجوحا. فعلى سالم الصدر أن يخرج من حسن ظنه فيه أحسن المخارج ويلتمس له عذرا كما نبه عليه كثير من أهل العلم العاملين خصوصا فيما خفي تأويله، وأما ما ظهر عذره كمشكلة[524] رد السلام وإفشائه من باب أولى ولا ينكث[118-ب] عليه إلا متبع[525] للعورات

[519]- شطر من الخبر، رواه مسلم(كتاب الزكاة - باب الحث على الصدقة...، رقم: 69(1018). (انظر: إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من أحاديث البخاري ومسلم، ص 23).
[520]- البقرة، 213.
[521]- "ب"و"س": النذر.
[522]- ب: المعاذر، س: المعاذير.
[523]- "ب"و"س": وللفقهاء.
[524]- س: كمسألة.
[525]- "ب"و"س": متتبع.

ومتجسس على الهفوات، وذلك حرام، ومن تتبع عورة أخيه فضح الله عورته ولو في جوف رحله، فيمن له عورة خفيت[526] عن أعين الناس فلا يجوز لأحد تتبعها وإظهارها، لحديث:" من ستر عورة أخيه المؤمن ستر الله عورته"[527]، والحديث السابق ولحديث:" هلا سترته بردائك".

وأما رد السلام وإفشاؤه فليس من هذا القبيل ولا قريب منه لبيان عذره كما تقدم هذا. وللفقراء معاذير زائدة على المعاذير المذكورة عند الفقهاء لا تحصى كثرة، لاختلاف أنظارهم بحسب ما يرد على قلوبهم. والتماس الأعذار، من صفاء الأسرار، وتدقيق الميزان، من ضعف الإيمان، قال الإمام الخروبي في أجوبته: "وقلتم، حفظكم الله تعالى، إنكم تلتمسون المعاذير والمخارج الحسنة لهذا القائل ولأصحابه، وتخاصموا[528] عنهم لصدقكم في الفقراء حتى ظهر لكم منهم كثير مثل هذا، فأخذت في الإنكار عليهم، ولكن ما سمعوه ولا قبلوه. أقول لكم: أنسكم الله بقربه، ورسمكم في ديوان[529] أهل حبه بمنه وكرمه: لا تزولوا عما كنتم عليه من التماس المعاذير والمخارج الحسنة للمؤمنين، ولا يخرجكم عن هذا ما يصدر منهم من المساويء. فدم على نيتك الصالحة، وإن ظهرت منهم مساويء فلا تنظر إليها، وانظر إلى حسناتهم، ﴿ **إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين**﴾[530]. ودم على صدقك في الفقراء، وإن ظهر لك منهم من الأحوال ما يناقض مقامهم الفقيري، فعاملهم لله ولرسوله، صلى الله عليه وسلم، واحتراما للنسبة الشريفة. وأما أخذكم في الإنكار عليهم فإن ذلك بالظاهر

---

[526]- ب: خفت.

[527]- أخرجه ابن ماجة وابن حبان وأحمد. (الأدب المفرد، 2: 227، رقم: 757)، وأبو داود في السنن بلفظ:" من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة" (السنن، كتاب الأدب، باب في الستر عن المسلم، 4: 273، رقم: 4891)، والطبراني في الكبير، والضياء عن شهاب، بلفظ:"من ستر على مسلم عورة فكأنما أحيى ميتا". ورمز إليه السيوطي بالصحة (الجامع الصغير، 6: 148، رقم: 8740).

[528]- "ب"و"س": تخاصم.

[529]- ب: دين.

[530]- هود، 114.

والباطن فغير صواب، إذ المؤمن إذا صدرت من أخيه زلة فليعذره[531] بقلبه، ويظهر له اللوم والعتاب، وهذا هو الصواب". انتهى.

وأما الاجتماع للذكر فلا ينكره إلا جاهل أو أحمق، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال:" إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: حلق الذكر"، رواه الترمذي[532]. وعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، رضي الله عنهما، شهدا على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه قال:" لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده"[533]، رواه الترمذي[534] وابن ماجة[535]. وأخرج أحمد في الزهد عن ثابت البناني، أن أهل الذكر يجلسون إلى ذكر الله وأن عليهم من الآثام مثل الجبال، وإنهم ليقومون من ذكر الله ما عليهم منها شيء"[536]، إلى غير ذلك مما هو كثير. وقد ترجم لذلك الحافظ المنذري بقوله في الترغيب في حضور مجلس الذكر والاجتماع على ذكر الله،[537] والترهيب من أن يجلس الإنسان مجلسا لا يذكر الله فيه ولا يصلى على نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم[538].

وأما المداولة فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم، أنه كان يرتجز بالأبيات التي يقول فيهن ابن رواحة، رضي الله عنه:

---

[531] - س: فيعذره.
[532] - الجامع الكبير، (أبواب الدعوات. رقم: 3510). والحديث أخرجه أحمد، وأبو يعلى، وابن حبان في المجروحين، والبيهقي في شعب الإيمان. ورمز إليه السيوطي بالحسن. (الجامع الصغير، 1: 442).
[533] - أخرجه أحمد. ومسلم (كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن)، وابن ماجة، وأبو نعيم في الحلية (9: 24).
[534] - الجامع الكبير، باب في القوم يجلسون فيذكرون الله عز وجل ما لهم من الفضل، رقم: 3378).
[535] - ابن ماجة في السنن (كتاب الأدب، باب فضل الذكر، رقم: 3791).
[536] - انظر: فيض القدير، 1: 457.
[537] - المنذري، الترغيب والترهيب، 3: 61- 68.
[538] - المنذري، الترغيب والترهيب، م.س. 3: 69- 70.

والله لـولا اللهُ مـا اهـتدينـا * ولا تصَدقـــنا ولا صلـــينا

فأنزلـــــنْ سكينة[539] علينا * وثبتِ الأقـــدام إن[540] لقينـا

إن الأولى[541] قـد بغوْا علينا * إذا أرادوا فتـنــــة أبيْــــنـا[542]

قد صحت مداولتهم بذلك في حفر الخندق[543].

وفي أجوبة عبد الوارث ما نصه: " وأما الذكر بالمناوبة فالدليل عليه من الكتاب والسنة. أما الكتاب فقوله تعالى:﴿ **يا جبال أوبي معه والطير**﴾[544]. وأما السنة ففعله، صلى الله عليه وسلم، يوم الخندق".(هـ). وفي ترجمة سيدي محمد الحنفي الشاذلي[545] من الطبقات الصغرى للإمام الشعراني، ما نصه:" وكان إذا ركب، يعني الشيخ المذكور، قسم جماعته قسمتين: قسم يمشي أمامه، وقسم يمشي خلفه ويأمرهم برفع الصوت بالذكر، ويقول: هو شعارنا في الدنيا وحين نقوم من قبورنا. فكان الناس إذا سمعوا الذكر عرفوا أن الشيخ، رضي الله عنه، مار؛ فيصيرون ينزلون من بيوتهم ويخرجون من حوانيتهم، ومن لم يصل إلى يده رمى رداءه على الشيخ، ثم يمسح به وجهه"[546]. وهذا الشيخ هو الذي نوه به الإمام الشاذلي، رضي الله عنهما، قال:" سيظهر بمصر رجل يقال له محمد الحنفي يكون فاتحا لبيتنا، وتكون له شهرة عظيمة"[547]. وكان يقول: "الحنفي خامس خليفة

---

[539]- "ب"و"س": فأنزلن السكينة.

[540]- س: إذ.

[541]- "ب" و" ح"و"س": الولاة.

[542]- انظر البداية والنهاية، 4: 96.

[543]- تفصيل الخبر في: البداية والنهاية، 4: 92- 116، الهيثمي، مجمع الزوائد، 6: 130- 142.(باب غزوة الخندق وقريظة).

[544]- سبأ، 10.

[545]- الحنفي محمد بن حسن بن علي اليمني البكري الشاذلي، صوفي مصري من أهل القاهرة. ألف في مناقبه نور الدين علي بن عمر البتنوني: "**السر الصفي في مناقب سيدي محمد الحنفي**".

[546]- ورد الخبر في الطبقات الكبرى للشعراني، (ص 419)، غير أنه مختلف عن لفظ المكودي.

[547]- الطبقات الكبرى للشعراني، 407.

لنا"[548]. وترجمه الشعراني قائلا:" كان من صدور المقربين أصحاب الكرامات، والمقامات الفاخرة، والسرائر الظاهرة، والأحوال الباهرة، والعلوم الزاهرة، والأنفاس الصادقة، والهمم العالية، والرتب السنية، والمناظر البهية، والمحاضرات الربانية. انتهت إليه الرياسة في تربية المريدين في مصر وسائر أقطار الأرض"[549].

وأما الإعلان بالذكر فقد صح عنه، صلى الله عليه وسلم، أنه كان يجتمع مع أصحابه[550]، رضي الله عنهم، أدبار الصلوات الخمس للذكر، ويرفعون أصواتهم بذلك حتى قال عمر، رضي الله عنه:" كنا نعرف إذا انصرفنا من المكتوبة برفع الصوت بالذكر"، وعنه، صلى الله عليه وسلم:" أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا إنهم مجانين"[551]. وفي الجامع الصغير للإمام السيوطي، رضي الله عنه: "روى الطبراني عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أنه صلى الله عليه وسلم، قال:" اذكروا الله ذكرا حتى يقول المنافقون إنكم تراءون"[552]. وروى ابن المبارك[553] عن ضمرة بن حبيب مرسلا:" اذكروا الله ذكرا خاملا، قيل: ما الذكر الخامل؟. قال: الذكر الخفي"[554]. فقال الشيخ عبد الرؤوف المناوي، عقب هذا الحديث: "وعورض هذا بما قبله ونحوه من الأخبار الدالة على ندب الجهر بالذكر صريحا أو التزاما؛ لحديث الحاكم عن شداد بن أوس:" إنا لعند رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إذ

548- الطبقات الكبرى للشعراني، م. س، 407.

549- الطبقات الكبرى للشعراني، م. س, 405- 406.

550- س: الصحابة.

551- أخرجه أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان. ورمز إليه السيوطي بالصحة (انظر: الجامع الصغير، 2: 84، رقم: 1397). قال المناوي: "وقد اقتصر الحافظ ابن حجر في أماليه على كونه حسنا، وقال الهيتمي، بعد ما عزاه لأحمد وأبي يعلى: فيه دارج، ضعفه جمع وبقية رجال أحد إسنادي أحمد ثقات". (فيض القدير، 2: 85).

552- السيوطي، الجامع الصغير، 1: 456. وأشار إليه بالضعف. قال المناوي:" وفيه كما قال الهيتمي: الحسن بن أبي جعفر ضعيف". (فيض القدير، 1: 456).

553- كتاب الزهد، (رقم: 155)، ص 50.

554- ابن المبارك في الزهد عن ضمرة بن حبيب مرسلا. ورمز اليه السيوطي بالضعف. (الجامع الصغير، 1: 457. رقم: 904).

قال: ارفعوا أيديكم فقولوا: لا إله إلا الله، ففعلنا، فقال: اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة إنك لا تخلف الميعاد، ثم قال: أبشروا بأن الله قد غفر لكم". وخبر البيهقي عن أبي الأدرع قال: " انطلقت مع النبي، صلى الله عليه وسلم، ليلة فمر برجل في المسجد يرفع صوته بالذكر، قلت: يا رسول الله عسى أن يكون هذا مرائيا، قال: لا ولكنه أواه"، وخبر ابن ماجة عن جابر، أن رجلا كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل: لو أن هذا خفض من صوته، فقال، صلى الله عليه وسلم، إنه أواه". وأجيب بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به مصل أو نائم. والجهر أفضل في غير ذلك لأن العمل به أكثر، ولأن فائدته تتعدى إلى السامع، ولأنه يوقظ قلب الذاكر، ويجمع همه[555] إلى الفكر، ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم، ويزيد في النشاط. وأما قوله تعالى:﴿ **واذكر ربك في نفسك**﴾[556]. الآية. فأجيب عنه بأن الآية مكية، نزلت حين كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يجهر بالقرآن فيسمعه الكفار فيسبون القرآن ومن أنزله، فأمر بالترك سدا للذريعة، وقد زال ذلك، وبأن الآية محمولة على الذاكر حالة القراءة، تعظيما للقرآن أن ترفع عنده الأصوات، وبأن الأمر في الآية خاص بالنبي الكامل المكمل والأرواح القدسية. وأما غيره مما هو محل الوسواس والخواطر الردية فمأمور بالجهر لأنه أشد تأثيرا في دفعها. وأما قوله تعالى: ﴿**ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين**﴾[557]، الآية، فذلك في الدعاء لا في الذكر، والدعاء الأفضل فيه الإسرار، لأنه أقرب إلى الإجابة، ولهذا قال تعالى: ﴿**إذ نادى ربه نداء خفيا**﴾[558]. وأما ما نقل عن ابن مسعود، رضي الله عنه، من أنه رأى قوما يهللون برفع الصوت في المسجد فقال: ما أراكم إلا مبتدعين، وأمر بإخراجهم، فغير ثابت. وبفرض ثبوته

555- س: همته.

556- الأعراف، 205.

557- الأعراف، 55.

558- مريم، 3.

يعارضه ما في كتاب الزهد لأحمد عن شفيق بن أبي وائل قال:" هؤلاء الذين يزعمون أن عبد الله كان ينهى عن الذكر ما جالسته مجلسا قط إلا ذكر الله فيه".[559]

(هـ). وهو تحرير حسن.

ومما قيدته في غير هذا الكتاب[560] ولم أكن وفقت على كلام المناوي هذا. فإن قلت: فهل الإسرار بالذكر أفضل أم الجهر أولى وأتم؟. قلت: الجواب إن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن خاف الرياء والسمعة وغيرهما من العلل فالإسرار في حقه أولى وأتم، وعليه يحمل ما جاء في فضل إخفاء الذكر وغيره من سائر العبادات، وأما من لم يخف من ذلك بأن كان ملاحظا للحق تعالى، غير مكترث بالخلق، قد سقطوا من نظره، ليس له التفات إليهم بحال فالجهر في حقه أفضل, ليذكر نفسه ويذكر غيره. قال في المنن الكبرى: " ومما من الله به علي محبتي لرفع صوتي بالذكر محبة في الله عز وجل, وطلبا لأحد يذكر الله بذكري، وتنهيضا لهمم الإخوان لا لعلة أخرى من حظوظ النفس، فأنا أحب إذا قلت: لا إله إلا الله أن يسمعها أهل المشرق والمغرب من إنس وجن ومسلمين وكفار"[561]. وعلى هذا يحمل ما جاء في فضل الجهر بالذكر. ثم قلت: فإياك يا أخي ثم إياك أن تصغى لمن ينكر الذكر بالجهر، ويقول بلسانه الملجلج وعقله المبهرج: ﴿**واذكر ربك في نفسك**﴾[562]، فإن التحقيق هو ما بيناه.

وأما الإعلان بالذكر إن أشرفوا على المنازل فإن فيه تشويقا[563] للسامع والتأسي بالصحابة[564] الكرام؛ إذ ثبت عنه عليه السلام، أنه قال لأصحابه: "إذا أتيتم

---

[559] - فيض القدير، م. س. 1: 457.
[560] - يقصد "كتاب المنح السنية في الفقر والبلية".
[561] - المنن الكبرى للشعراني، 168.
[562] - الأعراف، 205.
[563] - س: تشويق.
[564] - س: س: بفعل الصحابة.

دياركم فأعلنوا بالذكر"، قاله[565] الإمام السنوسي، رحمه الله تعالى، فاعرف ذلك والله يتولى هداك.

وأما الذكر في المسجد بالرقص والاهتزاز فسئل العالم الأفضل سيدي قاسم بن خجو[566]، رحمه الله، على الذين يذكرون الله قائمين على حصور المسجد فيهتزون ويرقصون، هل ذلك جائز أم لا؟. فأجاب: ذكر الله الذي سألتم عنه وعن أهله هو المطلوب على كل حال من الأحوال فأحرى في المساجد التي أعدت له. قال مولانا سبحانه وتعالى: ﴿**ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا**﴾[567]، وقال: ﴿**الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم**﴾[568]؛ فلا يلوم الذاكرين[569] الله قياما وقعودا، سرا وجهرا إلا من لا تحقيق عنده ولا خلق ولا عقل. والتسليم لهذه الطائفة أسلم وأولى. ويا ليتني كنت ممن يرقص ويهتز[570] بجلال أو جمال كما شاهدنا[571] ذلك منهم. وقد ورد ما يوجب التسليم لمن اهتز ورقص، والرقص هو أقصى غاية الاهتزاز. قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم:" سيروا فقد سبق المفردون، قيل: ومن هم المفردون يا رسول الله؟. قال: الذين يهتزون بذكر الله، يضع الذكر عنهم أوزارهم"[572]. نقله صاحب الجامع المختار في فضل الذكر والاستذكار. ويؤخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿**الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**﴾[573]؛

565- نصرة الفقير، م س، ورقة 43أ.

566- أبو القاسم محمد بن علي ابن خجو، الحساني (ت.956هـ/ 1546م). ترجمه: الدوحة، 14- 15، ابن القاضي، درة الحجال، 3: 286، جذوة، 319، شجرة النور الزكية، 283، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، 2: 461.

567- الحج، 40.

568- آل عمران، 191.

569- س: الذاكرون.

570- س: يهتز ويرقص.

571- س: شهدنا.

572- أخرجه البخاري في تاريخه الكبير ،والبيهقي في الشعب، وأخرجه أحمد، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء- باب الحث على ذكر الله). وزاد فيه والذاكرات. وقال النووي: "تقديره والذاكراته، لأنه مفعول يجوز حذفه". (انظر: إتحاف المسلم للنبهاني، 240)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (أبواب الدعوات، رقم: 3596) بزيادة:"فيأتون يوم القيامة خفافا". وقال:"حديث حسن غريب". فيه عمر بن راشد ضعيف.

573- الحج، 35.

والوجل هو الاضطراب والاهتزاز والرقص منه، ولا حرج على المغلوب ولا على المساعد له. فيا ليت أهل هذا الزمان الذين يعيبون ما هم عليه السادات الصوفية، وما كان عليه السلف الصالح، كيف وطريقتهم أعلى المراتب كلها والمقامات، ما لهم لم يعيبوا على الزفانين[574] زفنهم[575]؟ وعلى الخمارين الملعونين خمرهم؟ وعلى المكاسين الملعونين مكسهم؟ إلى أن عد أشياء كثيرة من المحرمات المرتكبة في ذلك[576] الزمان. ثم قال: "فهذا كان واجبا عليهم بالفعل والقول، ويسلمون لهذه الطائفة المنورة الشريفة السعيدة المستغرقة في ذكر الله آناء الليل وأطراف النهار. اللهم انفعنا بالفقراء واحشرنا معهم، ولا تحل بيننا وبينهم، وارزقنا محبتهم، يا أرحم الراحمين يارب العالمين". وهو في غاية الحسن لمن لم يصحبه الرضى عن نفسه، نعم إن كان ذلك في أوقات الصلاة بحيث يخلطون على المصلين فلا يجوز.

وحكي عن الحارث المحاسبي[577] أنه قال: اجتمع الناس على الإمام ابن حنبل، رضي الله عنه، قالوا: يا أبا العباس إن الصوفية يجلسون في المساجد بلا علم على سبيل التوكل ، فقال: العلم أجلسهم، فقيل: ليس مرادهم من الدنيا غير كسرة وخرقة، فقال: لست أعلم أحدا على وجه الأرض ولا قوما أفضل منهم، فقيل له: إنهم يسمعون ويتواجدون، فقال: دعوهم مع الله يفرحون ساعة، فقيل له: فمنهم

---

[574]- "ب" و"س": الزفانة.

[575]- زفن: الزفن الرقص، زفن يزفن زفنا، وهو شبيه بالرقص. وفي حديث فاطمة، عليها السلام، أنها كانت تزفن للحسن. وأصل الزفن اللعب والدفع. انظر: لسن العرب، مادة زفن. والزفان يستعمل في لسان بعض أهل اللسان الغربي بمعناه الفصيح، وهو الرقاص ولاسيما المطرب المتجول.(انظر: العزفي، دعامة اليقين في زعامة المتقين، ص 46، ورد اللفظ في إحدى الحكايات).

[576]- س: هذا.

[577]- الحارث بن أسد المحاسبي(243هـ)، من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر وعلوم المعاملات الإشارات. ينظر: حلية الأولياء، 10: 73، صفة الصفوة، 2: 2: 367، طبقات الشعراني، 108- 109، طبقات السلمي، 56-60.

من يغشى عليه، ومنهم من يموت، فقال: آه، ﴿**وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون**﴾[578].

وإذا كان هذا في المسجد الذي يجلس فيه الناس فكيف بأماكنهم التي اختصوا بها، وأعدوها للذكر والمذاكرة، هل يجوز لأحد السعي في إبطالها وغلقها بعد إخراجهم منها كما فعل أهل تطوان؟ والله[579] إنه ليخاف عليهم من تخريب ديارهم وأموالهم كما وقع لكثير ممن تعرض لمثل ما تعرضوا له، هلا أنكروا على أنفسهم أولا ثم على غيرهم ما يفعلونه[121-أ] من الحلق والجلوس جماعة في المجلس للحديث في أمر الدنيا وما جرى لفلان وفلان وفلان. وقد ورد أن الكلام في المسجد بغير ذكر الله يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب الرقيق[580]. وعنه، صلى الله عليه وسلم، " يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد يقعدون فيها حلقا حلقا، ذكرهم الدنيا وحبهم الدنيا، فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة"[581]. وروي عنه، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " إذا أتى الرجل إلى المسجد فأكثر الكلام تقول له الملائكة: اسكت يا ولي الله، فإذا زاد تقول له: اسكت يا بغيض الله، فإذا زاد تقول له: اسكت عليك لعنة الله".[لأن المساجد إنما أعدت ليذكر فيها الله][582] . وإنما سميت بيوت الله وأضيفت إلى الله تعالى في قوله: ﴿**وأن المساجد لله**﴾[583]، وفي قوله: ﴿**ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله**﴾[584]، وفي قوله: ﴿**إنما يعمر**

---

[578]- الزمر، 47.
[579]- س: ووالله.
[580]- سقطت من "س".
[581]- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن مرسلا. (جمع الجوامع للسيوطي، 1: 984). والحاكم في المستدرك من حديث أنس بن مالك. (كتاب الرقاق، رقم: 7916). قال الحاكم:"هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". قال العراقي:"أخرجه ابن حبان من حديث ابن مسعود، والحاكم من حديث أنس، وقال: صحيح الإسناد". المغني بهامش إحياء علوم الدين 1: 138).
[582]- العبارة سقطت من الأصل وأتممناها من "س".
[583]- الجن، 18.
[584]- التوبة، 17.

مساجد الله﴾[585]، تنبيها للعباد على أن لا يذكروا في بيته غيره إلا بإذنه، نظير ما قيل في القلب: إنه بيت الرب. فلا ينبغي للعبد أن يمكن شيئا من دخول قلبه غير ربه. ومن ذكر في المسجد غير الله، أو فعل فعلا لا يقرب إلى الله تعالى ولا يدل عليه فقد أشرك مع الله غيره في بيته، وفعل في المسجد غير ما شرع المسجد لأجله. قال تعالى: ﴿**وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا**﴾،[586]، أي في المساجد. والوجود والوجد والتواجد معلوم عند أربابه. وقد تكلم القوم فيه بعبارات لا تحصى فمن أراد ذلك فليطالع كتبهم يرى العجب. وبعض الناس لهم ولوع بكلام صاحب المدخل فيعترضون به على كثير من أحوال الفقراء. واعتراضهم واحتجاجهم به غير سائغ، لأنه موضوع في غير محله؛ إذ لا يصح الاحتجاج به إلا لمن عرف مقامات الرجال وأحوالهم بالذوق الصريح والفهم الصحيح، ليضع كل شئ في محله، والله ولي التوفيق.

وأما ما أشاعوه على الفقراء من الاجتماع بالنساء الأجانب فحاشى ومعاذ الله، كيف وهم أهل التقوى والانسلاخ من الهوى. و والله ما علمنا على شئ من ذلك واقع من إخواننا. فالله يؤيدهم بكلاءته ويحوطهم برعايته، إنه على كل شئ قدير. وحيث[587] عمموا في الإنكار، ونصبوا ميزان الاعتراض فلذلك واجهتهم بهذا التقييد المختصر المفيد، نصرة للدين وغيرة على نسبة رب العالمين، ومحبة في أهل الله أجمعين. ولعله يصل إليهم فيتوبون، ويرجعون إلى الله عما هم فيه منهمكون، ويقولون إن كان ولا بد من الوزن والإنكار فأنفسنا أحق وأولى بذلك من هؤلاء السادات الأخيار. ابدأ[121-ب] بنفسك ثم بمن تعول، الأقربون أولى بالمعروف، وعار على العاقل النبيه أن يترك الجدع في عينيه ويرى القذا في عين أخيه. فإن

585- التوبة، 18.
586- الجن، 18.
587- س: وإنما.

صح رجوعهم لمولاهم، وانقطاعهم عما عنه نهاهم كنا وإياهم من المحسنين، وعبيدا لمولانا أجمعين، والوقوف مع الحق وقبوله من أخلاق الكرام، والاعتراض عليه، بعد بيانه، من أخلاق اللئام. فإن لم يؤثر فيهم ما ذكر، وبقوا على اعتراضهم وما هم عليه من سوء اعتقادهم فقد عظم الوبال، وزاد الضلال، والعياذ بالله من سوء الفعال. قال أبو تراب النخشبي[588]:" علامة سواد القلب ثلاثة: ألا يجد للذنوب مفزعا، ولا للطاعة[589] موقعا، ولا للموعظة منجعا"[590]، وقال[591] أبو محمد المروزي:" إنما شقي إبليس بخمس خصال: لم يقر بذنبه، ولم يندم عليه، ولم يلم نفسه، ولم يبادر إلى التوبة، وقنط من رحمة الله، عز وجل.﴿ **والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾[592].

[588]- أبو تراب النخشبي (245هـ/ 859م). من جلة المشايخ المذكورين بالعلم والورع والزهد. ينظر: حلية الأولياء، 10: 45- 51، صفة الصفوة، 4: 172، شذرات الذهب، 2: 108- 109، طبقات السلمي، 146- 151.

[589]- "ب"و"س": الطاعات.

[590]- تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر للشعراني، 44.

[591]- في تنبيه المغترين، م.س. 44.

[592]- البقرة، 213.

خـــاتــمـة:

قال سيدي أبو العباس المرسي، رضي الله عنه:" اعلم أن الله تعالى خلق هذا الآدمي وقسمه إلى ثلاثة أجزاء: فلسانه جزء، وجوارحه جزء، وقلبه جزء. وجعل على كل جارحة حفيظا فقال تعالى: ﴿**ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾[593]، وقال: ﴿**ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه**﴾[594]. وتولى حفظ القلب بنفسه، وقال: ﴿**واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه**﴾[595]، وسلط على الجوارح الشيطان، واقتضى من كل جزء وفاء ملازما له؛ فوفاء القلب ألا يشتغل بهم ولا بمكر ولا بحسد، ووفاء اللسان ألا يغتاب ولا يكذب، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، ووفاء الجوارح ألا يسارع بها إلى معصية ولا يؤذي[596] بها أحدا من المسلمين، فمن وقع من قلبه فهو منافق، ومن وقع من لسانه فهو كافر، ومن وقع من جوارحه فهو عاص"[597]. وقال الشعراني، رضي الله عنه:" واعلم أن علماء الشريعة والحقيقة قد أجمعوا على وجوب مجاهدة النفس، وتطهيرها من الأمراض الباطنة، كالكبر والحسد والغل ومحبة الدنيا، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. [قالوا: ولا طاعة للوالدين في ترك المجاهدة، ولا يصير الولد بذلك عاقا لهما، كما لا يصير عاقا بمخالفتهما في تعلم العلم الواجب.

فإن قيل: فما الدليل على وجوب رياضة النفس ومجاهدتها؟ فالجواب: الدليل على ذلك ما ورد من عقوبة المتكبر، والحاسد، والمعجب بعمله والمرائي، والمنافق ونحو ذلك][598]، وما توعد الله تعالى عباده عليه بالعقوبة يجب عليهم الخروج منه

593- ق 18.
594- يونس، 61.
595- البقرة، 235.
596- "ب"و"س": تؤذي.
597- لطائف المنن، م.س.
598- ما بين معقوفين أثممناه من الأجوبة المرضية. 117.

في هذه الدار وإلا فلا يطهرهم من ذلك إلا النار. وأيضا فإنه كما يجب على العبد الخلوص من الأدناس النجسة في بدنه وثيابه ومكانه قبل دخوله في الصلاة، فكذلك يجب عليه[122-أ] التطهير من صفات[599] الشياطين التي في باطنه، لتمكنه ملائكة الحضرة الإلهية من الوقوف بين يدي الله تعالى"[600]. ثم قال:" ولا يكمل ذلك لأحد إلا على يد شيخ صادق، ولو بلغ في العلم الغاية، وكان على عبادة الثقلين، فربما كان من لا شيخ له على عبادة الثقلين، ثم وقع في العجب آخر عمره، فحبط عمله كله،[فكان حكمه كحكم النحل إذا أشرف على ختام الخلية، فتسرح على شجر الحنظل سرحه، ثم مج ذلك على الخلية فأفسدها كلها لما فعله تلك السنة][601].

وكان[سيدي علي المرصفي][602]، رحمه الله، يقول:" لو أن مريدا عبد الله تعالى حتى ملأ ما بين السماء والأرض بغير شيخ فهو كالهباء المنثور، لجهله بمعرفة دسائس الأعمال الظاهرة، فضلا عن الباطنة، ولا يعرف الطريق الموصلة إلى ذلك حتى يطلب معرفة كيفية التطهير وذلك لأن معظم طريق القوم غيب محسوس، فلا يكاد يدرك دسائس أعماله إلا من كشف الله تعالى حجابه][603].

وكان سيدي علي الخواص[604]، رحمه الله يقول:" لو أن عبدا قرأ ألف كتاب [في العلم] من غير شيخ يفهمه معانيها، فلا ثمرة لذلك عند القوم، وهو كمن حفظ كتابا في الطب مع جهله بتشخيص الداء، وكيفية تركيب الدواء"[605].

فاطلبوا أيها الفقهاء معرفة دسائس أنفسكم بصحبة شيخ عارف، لتخرجوا من سائر الأوصاف المذمومة، كالرضى عن النفس، والعجب والتكبر والغل والحسد،

599- س: صفة.
600- الأجوبة المرضية، 177.
601- ما بين معقوفين أثبتناه من الأجوبة المرضية.
602- ساقطة من الأجوبة المرضية.
603- ما بين معقوفين أثبتناه من الأجوبة المرضية.
604- علي الخواص، من أعلام التصوف. ينظر، الطبقات الكبرى للشعراني، 490- 516.
605- الأجوبة المرضية، م. س، 178- 179.

والحرص وطول الأمل ، وسوء الظن بعباد الله ، وغير ذلك من كبائر القلوب. وقد تقدم قول أبي الحسن الشاذلي، رضي الله عنه:" من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرا على الكبائر وهو لا يشعر". فلله عليكم إلا ما تأملتم فيمن اتصف بهذه الأوصاف الذميمة وغيرها هل عنده شئ من العلم وإن كان عالما بالفروع كلها؟ بل والله ما عنده إلا الجهل، وكذلك من لم يتصف بهذه الأوصاف وغيرها هل عنده شئ من الجهل، وإن كان جاهلا بكثير من الفروع؟ بل والله ما عنده إلا العلم. ورحم الله ابن عطاء الله حيث قال:" ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه، خير من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه. فأي علم لا يرضى[606] لعالم يرضى عن نفسه، وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه"[607].

وليكن هذا آخر ما أردناه، وربنا المسؤول في نيل رضاه، إنه جواد كريم متفضل رحيم، وصلى الله وسلم على أمين الأمة، وكاشف الغمة، وعين الرحمة، سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيئين وإمام المرسلين وعلى آله وصحابته أجمعين والحمد لله رب العالمين.

ووافق الفراغ من تخريجه أواخر محرم الحرام فاتح عام عشرة ومائتين وألف. رزقنا الله خيره ووقانا ضيره بمنه، آمين. انتهى بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. اللهم صل على سيدنا محمد، عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين. اللهم اغفر لمؤلفها ولكاتبها وللواسطة فيها ولمن طالعها بالنية والتسليم. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، والحمد لله رب العالمين. وكان الفراغ من هذه النسخة يوم الخامس من رمضان المعظم سنة

606- سقطت من "س".

607- ابن عطاء، الحكم، م.س. 110. (رقم: 35).

ست وثمانين.ومائتين وألف. وصلى الله على.سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ملحق النصوص:

الملحق الأول: تقييد في الانتقاد على الطريقة الدرقاوية لمؤلف غير مذكور، رقم: 10288.

الملحق الثاني: تقييد في الرد على رسالة تنتقد الطائفة الدرقاوية، لمحمد بن عبد اللطيف جسوس (ت. 1273هـ). رقم: 10289.

الملحق الأول:

هو عبارة عن تقييد لبعض في الانتقاد على الطريقة الدرقاوية، لمؤلف مجهول. تحدث فيه عن حكم الذكر وفضله وكيفيته وصفته وفائدته، وعقوبة من أعرض عنه". انطلاقا من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وما أثر عن السلف من كلام عن الذكر باعتباره أحد ركائز العقيدة. وتحدث عن مسألة السماع وشروطه وما تناقله القوم في مقالاتهم وتآليفهم عنه، وما نقلوه من أخبار، وما نقل عن أئمة المذاهب في هذا الشأن، انطلاقا من مواقفهم المتباينة.

توجد نسختان من هذا التقييد، محفوظتان بالخزانة الحسنية بالرباط:

النسخة الأولى: رقم: 10288.

نسخة تامة، كتبت بخط مغربي، تقع في ورقتين، مقياس 22 X 17،5 سم، مسطرة 23 س، بها تعقيبة، وهي عارية من اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

النسخة الثانية: رقم: 12181

نسخة تامة، كتبت بخط مغربي مجوهر جميل، ملون، تقع ضمن مجموع من ورقة 1 أ إلى2 ب، مقياس 19.9 x14.5سم، مسطرتها 24س، التعقيبة مائلة. وهي خالية من تاريخ النسخ ومن اسم الناسخ. وقد اعتمدناها أصلا في تخريج هذا التقييد.

الملحق الثاني: هو عبارة عن تقييد في الرد على رسالة تنتقد الطائفة الدرقاوية، لمحمد بن عبد اللطيف جسوس (ت. 1273هـ). رقم: 10289.

رد في هذا التقييد على منكر الرقص في حالة الذكر، واستدل لأجل دحض مقالة المعترض بما تداوله السلف في هذه المسألة.

أوله:

وكلامنا نحن في رقص الفقرا...

آخره:

بل يجب أن تمحى تلك الأسطر من تلك الدفاتر لأنها أضلت كثيرا ممن يدعي العلم وهو عنه بمعزل.

نسخة تامة، كتبت بخط مغربي مختلف، مشوب بالأحمر والأخضر، بطرره بعض الإشارات والإضافات، عدد الأوراق ست ورقات، مقياس 22 X 17 سم، مسطرة 31 س، كتبها محمد بن الفقيه السيد محمد بن صالح التادلي الحسوني، في 7رمضان المعظم عام 1269 هـ.

في نهاية التقييد كتب: للأخ في الله سيدي عمر بن المكي الشرقاوي.

إن الفنا إلفنا وفيه ألف أنا * إذا عدمت أنا فذاك عين الفنا

تقييد لبعض المعاصرين في الانتقاد على الطائفة الدرقاوية

الحمد لله الأزلي الذي تفرد بسر الوحدانية، وتوحد بحقيقة الأحدية، واتصف بعز الصمدية، وتنزه عن شبه الملحدين، وشرح بسر المواهب الربانية بواطن صدور المقربين، وثبت على صراط الحقيقة أقدام السالكين. أحمده حمد المقربين، وأومن به إيمان العارفين، وأستهديه هداية المرادين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من اضطر برق عبوديته إليه، واعتمد في أقواله وأفعاله عليه، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي اختاره من جواهر المرسلين، وخلاصة أنوار الصديقين، وحقيقة حقائق الشهداء ولطائف أسرار الصالحين، صلى الله عليه وعلى آله ما تلي القرآن، وتعاقب الجديدان.

وبعد، فإن الذكر مطلوب، وثوابه مرغب فيه ومحبوب، قال في الرسالة: "قال معاذ بن جبل: رضي الله عنه:"ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله". قال الشيخ الجزولي: "لأن الإنسان إذا ذكر الله تجدد خشوعه، وتقوى إيمانه، وازداد يقينه، وبعدت الغفلة عن قلبه، وكان إلى التقوى أقرب، وعن المعاصي أبعد". قال: "وقد ذكر الله تعالى حكم الذكر وفضله وكيفية وصفته وفائدته، وعقوبة من أعرض عنه". فأما حكمه وفضله، فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾، وقال: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾، وقال: ﴿فاذكروني أذكركم﴾، وقال: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾، إلى غير ذلك من الآيات.

وأما كيفيته، فقوله تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾

وأما صفته، فقال تعالى: ﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا﴾، وذكر الأب يكون بالتعظيم. كذا ذكر الله.

وأما فائدته، فقال تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾، وقال: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾.

وأما عقوبة من أعرض عنه، فقال تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾، وقال: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمان نقيض له شيطانا﴾، الآية.

ومعنى يعْشُ: يغفل. ومعنى الآية أن من غفل عن ذكر الله يسر الله له شيطانا يكون له قرينا، عقوبة له على الغفلة عن الذكر. ثم قال الجزولي: "وما قاله معاذ رضي الله عنه، إنما أراد به الذكر بالقلب، وهو إحضار الإنسان قلبه، والخوف والخشوع، وتصور اطلاع ربه عليه، في سره وعلانيته، وعلم جميع أحواله ومتصرفاته، وأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يستر عنه مستور، فلذلك كان الذكر بالقلب أفضل من الذكر باللسان".

وقيل: "الذكر باللسان أفضل"، قاله أبو عبيدة بن عبد البر. وقيل: "إن كان ممن يقتدى به، وكان في محفل من الناس، فالذكر باللسان أفضل، ليقتدي به، وإن كان ممن لا يقتدى به، وكان بمحضر من الناس، فالذكر بالقلب أفضل"، واختار هذا القول الطبري" هـ. فقد ذكر، عز وجل، كيفية الذكر وصفته، ولم يذكر فيها ضربا بالطبل، ولا تزميرا بالغيطة، ولا ثبت عن الصحابة والتابعين والأجلة، ففعله بدعة، خارج عن السنة.

وقد سئل أبو إبراهيم المزني عن الرقص والطار والشبابة، قال: "هذا كله لا يجوز في الدين". وقيل: "إنه عمل فتوى، سنة إحدى وخمسين وستمائة، ومشى بها السائل بمصر على علماء الأربعة مذاهب، ونصها: "ما يقول السادات الأعلام، الفقهاء الكرام، أئمة الدين، وعلماء المسلمين، وفقهم الله لطاعته، وأعانهم على مرضاته، في جماعة وردوا إلى بلاد، فقصدوا المسجد، وشرعوا يصفقون ويرقصون، تارة بالكف، وتارة بالدف والشبابة، هل يجوز ذلك في المساجد شرعا؟ أفتونا مأجورين". فأول ما أتى السائل إلى إمام الشافعية، إذ كان لهم التقدم في ذلك العصر ، فقال: "السماع لهو ومكروه، يشبه الباطل، من قال به ترد شهادته، والله أعلم".

وقالت المالكية: "يجب على ولاة الأمر زجرهم، وردعهم، وإخراجهم من المسجد حتى يرجعوا أو يتوبوا، والله أعلم".

وقالت الحنابلة: "لا يصلى خلفهم، ولا تقبل شهادتهم، ولا تقبل أحكامهم إن كانوا حكاما، وإن عقدوا نكاحا كان فاسدا، والله أعلم".

وقالت الحنفية: الحصور التي يرقصون عليها لا يصلى عليها حتى تُغسل، والأرض التي يرقصون عليها حتى يحفر ترابها، والله أعلم".

فقد اتفق أهل المذاهب كلها على منع الذكر بالرقص والطقطقة.

وأول من أحدث الضرب بالقضيب والطقطقة الزنادقة، ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله. وإنما كان مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار والسكينة. هذا في السماع بآلة لا سيما إن كان في المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيه اسمه. وقد قال الإمام أبو بكر الطرطوشي: "ينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد، لا يحل لأحد، يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يحضر معهم، ولا يعينهم على باطلهم.

وهذا مذهب مالك، والشافعي، وأبي حنيفة، والإمام أحمد بن حنبل، وأئمة المسلمين، وبالله التوفيق" هـ.

وأما السماع بغير آلة فقد قال حجة الإسلام: "قال أبو الطيب عن مالك والشافعي وأبي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء ألفاظا يستدل لها على أنهم رأوا تحريمه".

وقد أجازه إبراهيم بن سعد، وهو من الأعلام، وروى عنه أهل الكتب الست، ونقل أبو الطيب أيضا إباحته عن جماعة، وقال: "سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر، وابن الزبير، والمغيرة بن شعبة، ومعاوية بن أبي سفيان، وغيرهم. قال: "فعل ذلك كثير من السلف صحابي وتابعي لهم بإحسان". قال الإمام الشطيبي "والحق في المسألة الوسط، من غير شطط ولا غلط، وهو أن السماع إذا كان بشروطه عند أهله، من غير مخالفة كتاب ولا سنة، جاز وإلا منع. وشروطه هو: أن لا يكون بمحل يحضره الأحداث، وسماع النساء، وأوقات الصلاة، لأنه لهو مباح في حق من لم يتضرر به، والمساجد تنزه عن ذلك، وأن لا يداوم عليه، فمطلق سماع الصوت الحسن جائز، إلا أن يعرض لذلك مانع من اختلال شرط كما تقدم.

ومن شروطه أيضا: أن لا يكون فيه ذكر الخدود والقدود والنساء والخمر، وإلا حرم. وقد يكون سماعه مندوبا محمودا بالاتفاق، وهو ما يكون فيه ذكر الآخرة والله، والحض عليهما، والمواعيظ والحض على الدين، واتباع سيد المرسلين، وما كان عليه السلف، والاستقامة على السنة، وذم أهل البدعة، ومدح النبي وأصحابه، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، ومحامد الصفات، إلى ما في فضل الله تعالى والخوف من عدله، والوقوف بين يديه، وصروف الدهر، والحذر من أن يأمن تقلبه، وكيف فعلت الدنيا بأهلها، وغرتهم ببهرجتها وزخرفها، وأوصاف

السالك والمجذوب، والمحب والمحبوب، ومجاهدة أهل الطريق وصبرهم على المكابدات حتى نالوا أعلا الرتب، وكيف حاز أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، المقامات المنيفة بصحبتهم، ونصرة الدين بسيوفهم، فهذا كله حسن مندوب إليه، والاتفاق على أن النبي صلى الله عليه وسلم، أنشدت بين يديه الأشعار، وأثاب عليها.

والحاصل أن السماع بغير آلة، كما قال الشعبي، إن كان يحرك ما في القلب من الخوف ومحبة الله تعالى كان مندوبا إليه، وإن كان يحرك محبة المخلوق لغلبة الشهوة وتمكنه من الشيبة فالسماع في حقه حرام. ومن لم يتصف بواحد من الوصفين المتقدمين، واتخذه مستراحا ليتقوى به على حاله فهو مكروه عند أهل الفضل والدين، لأنه لهو ولعب.

واختلف عندهم في التواجد، فقيل: "لا يجوز، وإن من حسن الأدب الإصغاء، وترك الحركة والمشقة، وخصوصا الشاب بين يدي المشايخ، والمبتدي بين يدي المنتهي. وأما من طرق سمعه شئ من ذلك، فحصل له الوجد، وخرج عن حسه، وهام، فهذا لا يعاتَب، ولا يلام.

لا تلم السكران في حال سكره * فقد رُفع التكليف في سكرنا عنا

بل هذا يسمع ويفهم من صرير الباب، وهبوب الريح، ومرور السحاب، فالكلام إنما هو في السالك المريد، لا في المجذوب المراد. فيجب على الشيخ المربي أن يكون في أفعاله كلها جاريا على السنة، تاركا لما ظاهره بدعة، وإن كان بتأويل، لأن العوام مركوز في طباعهم أن الاقتداء بالمشايخ والعلماء في الأقوال والأفعال، فإذا رأوهم خافوا خافوا، وارعووا وانزجروا. وقد حكى أن الإمام أبا

حنيفة، رضي الله عنه، كان لا يأكل البطيخ لكونه لم يثبت عنده كيفية أكل النبي صلى الله عليه وسلم، إياه.

وفقنا الله جميعا، وأجرى أقوالنا وأفعالنا على الكتاب والسنة، بجاه أحب الخلق إليه، وأعظمهم قدرا لديه، سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبجاه جميع الأنبياء والمرسلين، وأهل بدر والأولياء والصديقين والشهداء والصالحين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تقييد في الرد على رسالة تنتقد الطائفة الدرقاوية

لمحمد بن عبد اللطيف جسوس

(ت. 1273هـ)

هذا التقييد في الورقتين حوله، وهو لبعض المعاصرين، وقد بناه على سؤال أبي إبراهيم المزني بن عمر. والسؤال المذكور ليس فيه تعرض لذكر الله تعالى وإنما فيه الرقص والطار والشبابة كما ترى.

وكلامنا نحن في رقص الفقراء في حال ذكرهم لا مجردا عنه، وإذا كان كذلك، أي ليس مجرد التصفيق والرقص، والضرب بالأكف تارة، وبالشبابة أخرى، كما هو لفظه، فهذا إنما هو مجرد لعب ومسخرة، وهتك لحرمة المسجد، فهؤلاء لا كلام لنا معهم، وفعلهم هذا إنما هو سفة وقلة مروءة في غير المسجد، فهذا خارج عما نحن فيه، فلا يقول مسلم بجواز فعل هؤلاء السفهاء، ذلك الفعل الشنيع في المسجد، فاعرفه.

وقوله: "ولم يذكر فيها ضربا بالطبل، ولا تزميرا بالغيطة، الخ..."

يقال له: الضرب بالطبل، والتزمير بالغيطة ليس بحرام، بل القول بجواز الكَبَر، أي الطبل، هو قول ابن القاسم، وروى عن مالك، ولما ذكر ابن رشد قول ابن كنانة القول بجواز المزمر والكَبَر، قال: "واختلف في جواز ما أجيز من ذلك، فقيل: هو من قبيل الجائز الذي يستوي فعله وتركه في أنه لا حرج في فعله ولا ثواب في تركه، وهو المشهور في المذهب. وقيل: هو من قبيل الجائز الذي تركه

أحسن من فعله، ونقله العلامة ابن زكري في شرح النصيحة الكافية608. وقال في الإحياء في السماع والوجد، ما نصه:" والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة فإنها إما أن تكون من جماد كصوت المزامير والأوتار، وصوت القضيب والطبل وغيره، وإما أن تخرج من حنجرة حيوان، وذلك الحيوان إما إنسان، وإما غيره، كصوت العنادل والقمارى وذوات السجع من الطيور [...]609 فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة، أو موزونة، ولا فرق بين حنجرة وحنجرة، ولا بين جماد وحيوان، فينبغي أن يقاس على صوت العندليب الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار الآدمي، كالذي يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدف، وغيره"610 من سائر الآلات. ثم قال حجة الإسلام، سيدي أبي حامد الغزالي، رضي الله عنه:" الدرجة الثالثة، الموزون المفهوم، وهو الشعر، وذلك لا يخرج إلا من حنجرة الإنسان فيقطع بإباحة ذلك"[611]. بل قد ادعى ابن عبد البر وغيره الإجماع على جوازه، انظر بسط ذلك مستوفى في الإحياء. ثم قال سيدي الغزالي: " فالألحان الموزونة تعضد وتؤكد بالإيقاعات، وأصوات أخر موزونة خارج الحلق، كالضرب بالقضيب والدف وغيره، لأن الوجد الضعيف لا يستثار إلا بسبب قوي، وإنما يقوى بسبب[612] هذه الأسباب، ولكل واحد حظ في التأثير"[613].

وقوله: "ففعله بدعة خارج عن السنة، الخ".

---

[608] - شرح النصيحة الكافية، محمد بن عبد الرحمان بن زكري، (ت. 1144هـ 1731م). توجد نسخة من هذا الشرح بالخزانة الحسنية بالرباط، رقم: 2200. (انظر: ترجمته مع مصادرها، معجم المطبوعات المغربية، 143-144).

[609] - الظاهر ان المؤلف تصرف في نص الإحياء.

[610] - احياء علوم الدين، 2: 271.

[611] - احياء علوم الدين، 2: 271.

[612] - الإحياء: بمجموع.

[613] - احياء علوم الدين، 2: 300.

ليس الأمر كما ذكر، وإنما المراد بالبدعة هي التي وقع التحذير منها، فهي ما أماتت سنة أو كادت تفضي إلى إماتتها، أو تقول: البدعة: هي التي لم تستند لأصل من أصول الشريعة، وليس المراد بالبدعة كل ما لم يكن في زمانه صلى الله عليه وسلم، ولله در ابن أبي زيد حيث قال في آخر الرسالة: "وفي اتباع السلف الصالح النجاة، وهم القدوة في تأويل ما تأولوه، واستخراج ما استنبطوه"، فأحال على ما تأوله السلف الصالح واستنبطوه، فتعين أن تكون البدعة هي التي لم تستند لأصل من أصول الشريعة، والله أعلم، وما نحن فيه ليس كذلك. وقد تكلم أهل العلم في البدعة، وقسموها إلى أقسام الحكم الشرعي وتعتريها الأحكام الخمسة، وهو مبني على أنها تجري في العادات ، انظره في آخر كتاب القواعد، للشيخ الحافظ القدوة، عز الدين بن عبد السلام.

وقوله بعد ذلك: "اتفق أهل المذاهب كلها على منع الذكر بالرقص". الخ. يقال له: أين الذكر هنا، يا مسكين حتى يقع عليه الاتفاق والاختلاف؟ إنما هنا الصفن والرقص، ومجرد اللعب لا غير، فهو كلام مرتب على غير مذكور، موضوع في غير محله قصد به التحامل والتمشدق في العبارة بما لا محصول له، كما ترى مع ما فيه من التحريف في النقل، وسوء الفهم والقصور والفتوى بغير المشهور، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وقوله: إنما كان مجلس النبي صلى الله عليه وسلم. الخ

انظر ما في هذا الكلام من التجاسر، وقلة العقل، كيف يشبه من جلس النبي صلى الله عليه وسلم، بمجلس هؤلاء السفهاء، الحمقاء، الغوغاء، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، في قلة التدبر والمبادرة إلى الاعتراض على الهوا بالهوا، وإنما نشأ هذا عن رؤية النفس، ورؤية الشفوف لها على غيرها حتى لا يدري ما يقول. ولا شك أن هذا هو سبب كل هلاك وبوار، فأين العلم النافع؟ فإياك والرضى

عنها، فإنه الداء العضال، الذي عثراته لا تقال، ولو ساعدتك على سلوك طريق الرجال، فإن دسائسها مكتومة، ومحاسنها مذمومة، وتقلباتها معلومة، فاستعذ بالله في كل حال منها، واستعن معرضا عنها، واتعظ باستعاذة النبي صلى الله عليه وسلم في أدعيته الجامعة من شرها، وتقديمه إياها في الذكر، حيث قال: "اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه"، وما كان ذلك إلا لقوة مكرها، وسرعة بحرها، حتى إنهم قالوا: "إن الشيطان لا يوسوس للساجد أبدا لأنه في حضرة القرب الخاصة"، كذا ورد، وأما هي فتوسوس حتى في السجود، ولم تكترث بالإله المعبود، فاحذر منها كل الحذر فإنها أحب من سجن شيطانا، أي أقوى منها عليك لوقوفها مع سواها، وهو كان فيه عناها، ولا ترجع بشرع ولا فرع، ولا تمنع بزجر ولا قرع، وأما اللعين فيرجه عنك بأمور كثيرة، منها: ذكر الله، ومنها الاستعادة، ومنها العلم، فإنك إذا منعته بالعلم رجع عنك، فإن فقيها واحدا متورعا أشد على الشيطان من ألف عابد، فإن من رضي عن نفسه سخط من سواها، ورضي بما برز منها من عثاها، ولم يدر المهبول أنه في قيود نفسه معقول، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، ويحسبون أنهم مهتدون، ويحسبون أنهم على شيء. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾، وقال تعالى لنبيه الأكرم صلى الله عليه وسلم: (وقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك)، وقال صلى الله عليه وسلم:" الكيس من دان نفسه ودل لها بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني".

ومن هوى النفس الرضى عنها بما يصدر منها، قال صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به". وهذا كله من الاشتغال بالقيل والقال، وكثرة السؤال الموجب للنكال في الحال والمآل، وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم. قال تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب

عتيد﴾ وقال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾، فمن علم أنه مسئول عن كل ذلك كيف يقبل على المالك، ويشغل مراده بالهوس، وسمعه بالدنس، وبصره بما هو مأمور بالغض عنه من جميع الأمور. قال تعالى لنبيه الأكرم ورسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم: ﴿لاتمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾، الآية وقال تعالى: ﴿قل للمومنين يغضوا من أبصارهم﴾، الآية. فتأمل أيها الناظر، هاتين الآيتين فإن فيهما من الفوائد ما تقر به العين، فإن النظر أصل لغالب المعاصي فلهذا أمر سبحانه بغضه وبغض بعضه، ومنه تتولد الشهوات، وترتكب المحرمات، ومنه يتولد الاعتراض من أهل الأغراض على أهل الإعراض، حتى كان هذا هو سبب رقم هذه الأوراق، ويرى من الفضائح، ما يهون عليه ارتكاب القبائح، ويرى من أحوال أبناء جنسه، ما يعظم عنده مقدار نفسه، فيهلك مع الهالكين، فيزين له سوء عمله فيراه حسنا. قال الحريري رحمه الله: " وبلاء الفتى اتباع هوى النفس، وبذر الهوى طموح العين". وإياك ثم إياك أن تقول: هلك الناس تكن أهلكهم، فكن لنفسك أملكهم، فإنك من مساويك على يقين، ومن حال غيرك على شك وتخمين، فاقطع الشك باليقين، وكن من المتقين، فإنك لو تيقنت مساوي سواك، لم تتيقن عدم توبته عما هناك، فقد يكون قد تاب في الحال، وأنت على الإصرار لن تزال، فاستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات ﴿والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾. فتنبه أيها العاقل لحركاتك وسكناتك وكلماتك وإراداتك، وخطراتك ولحظاتك، فمن قدم هواه فقد أغضب الله إلا إذا وافق هواه حكم الله، فما ألذه وأحلاه. ومن يقدم هداه يكن داخلا فيمن قال فيهم سبحانه وتعالى: ﴿ولما جاءهم رسول مصدق لما معهم نبذ

فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾، وتلاوة الشياطين، هي الأهواء والأغراض، الكائنة من الأعراض، إذ كل آية وردت في حق الأمم السالفة فللأمة المحمدية منها نصيب وافر، ونور سافر، ﴿وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾614 ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه أيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾[615]. ونعوذ بالله من أهل الكبر والافتخار، المصروفين عن آيات المنعم الستار، قال تعالى: ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾، وقال تعالى: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ إذ التكبر بالحق لإظهار الحق هو الأحق، ولو لم يكن أحق لحصل المحق، وهنا مزلة أقدام، ومحل خوف الانتقام، ﴿ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾[616]. فالمتكبر متفعل، فلا يكون كبيرا ولو كان عظيما خطيرا، فليحذر من التلبس برداء الكبرياء، وإزار العظمة، فإنهما لا يليقان إلا بالقديم، فمن نازع فيهما فاز بالخسران العظيم، نسأله العافية الوافية، وله المنة على كل حال، فالتكبر إعطاء للمظهر ما له، وللظاهر ما له من الجلالة والجماله، والتأدب بآداب الخائفين في كل حاله. قال صلى الله عليه وسلم:" ليس منا من لم يتعاظم بالقرآن"، فالتعاظم لعظمه لا لعظمه، إذ ليس للإنسان عظم إلا بما أفيض عليه من الكمالات في المحيا والممات. قال صلى الله عليه وسلم:" أنا سيد ولد آدم ولا فخر"، فالفخر الذاتي لا يكون إلا له،

614- البقرة، 26.
615- التوبة، 124- 125.
616- الأعراف، 99

صلى الله عليه وسلم. وقال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[617]، ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾، ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله﴾[618]، فتقوى الله لازمة لأهل الله في سيرهم إلى الله عن كل ما سواه، ومن السوى من غير شك أنت أيضا، والشعور والعلم والعمل الذي يأتي به البر الغفور، والذوق والعرفان، والفهم، الذي يشفي الصدور، فدع التفاتك للمظاهر، عن شموس أو بدور، ﴿ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾[619]. فالتصوف هو تعظيم الله، واحتقار ما سواه فإنهم حجب لا يحجبوك عن المقصود، فاتركهم وافرح إذا غضبوا، ولا تبعهم بملء الأرض من ذهب وقتا، فوقتك لا يأتي به الذهب، وارحل إليه عن الأكوان أجمعها، يعمك الرهب الممدوح والرغب.

فالكل يسعى لما يعنيه مجتهدا	فقم بكل الذي يعني كما يجب
واخلع عذار حياء غير مكترث	بالغير إذ هم كما قدمته حجب
واشرب وطب واحتجب واظهر بكل حلا	واطرب يا حبذا للهائم الطربُ

وقوله صلى الله عليه وسلم فيما سبق: "وعمل لما بعد الموت"، الأعمال التي تكون لما بعد الموت هي الأعمال الكاملة وجودا، النافعة شهودا، وهي التي تفرغ في إتمامها الاستطاعة، وتراها شر بضاعة، إذ لا يملك الحادث ما يليق بالقديم، وفوق كل ذي علم عليم، وذلك لا يكون إلا بالإيمان لأهل الإيمان ﴿الذين يومنون

[617]- الأعراف، 31.
[618]- الحشر، 7.
[619]- آل عمران، 28.

بالغيب ويقيمون الصلاة﴾، وإقامتها بما ذكره الله في قوله تعالى: ﴿قد أفلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾[620]. والخشوع في الصلاة هو المولد لأهل السداد، ومن لا خشوع له لا صلاة ولا تقوم بدونه أبدا، ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾، وقوله: ﴿قد أفلح﴾، يفهم أن من لم يكن كذلك غير مفلح إما في الحال أو في المآل، إذ قد يكون خاشعا في صلاته وملازما لعبادته، ومع ذلك يكب على الفحشاء والمنكر لإرادة لا تنكر، إذ الأشياء مرهونة بأوقاتها فلا سبيل لفواتها. عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال:" كان فتى من الأنصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه، فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاله، فقال: إن صلاته تنهاه يوما ما فلم يلبث أن تاب، وحسن حاله".

وعلى تقدير أن السؤال المذكور وقع على الرقص في حالة الذكر، إن لم يكن في عبارته ما يدل عليه، ولا ما يشير إليه، فلم تتفق المذاهب على منعه، كما قال، بل لن تختلف في جوازه، فقد صح القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع بالآلة، وبغيرها عند جماعة من أكابر أهل السنة من متأخري الأئمة، منهم شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام، ذكره غير واحد عنه في طبقات الشافعية، كالأسنوي، والسبكي، وغيرهما من الأئمة التقاة. وذكر ذلك أيضا ابن عطاء الله في

[620]- المومنون، 1- 11.

"لطائف المنن"، ومنهم الإمام تقي الدين بن دقيق العيد، ومنهم قاضي القضاة، بدر الدين ابن جماعة، وجماعة لا يحصون عددا، ونحوه في الإحياء، وزاد فيه حديث:" نظرت عائشة رضي الله عنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى الحبشة وهم يرقصون"، وقوله لها: أتحبين أن تنظري إلى زفن الحبشة؟ والزفن الرقص، وذكره ابن زكري في شرح النصيحة. فثبت أن الرقص في أصله مباح، ولو كان حراما ما فعل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويشهد أيضا لجواز الرقص ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده من خبر رقص جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، حين قال له النبي صلى الله عليه وسلم: أشبهت خلقي وخلق، ولم ينكر رسول الله عليه السلام ذلك. قال الحافظ سيدي أحمد بن يوسف: إن ذلك كان من جعفر على وجه الالتذاذ والوجد بخطابه صلى الله عليه وسلم، كان أصلا في رقص الصوفية، لما يدركونه من لذة المواجد. ففيه دليل على كل ما سبق، لمن صدق، والله يتولى هدانا أجمعين.

وقول صاحب التقييد عن الشافعي: "السماع لهو ومكروه، يشبه الباطل"، هذا لا دلالة فيه على تحريمهم السماع، فقوله: لهو، صحيح، لكن اللهو من حيث إنه لهو ليس بحرام، فلعب الحبشة في المسجد بين يديه صلى الله عليه وسلم، ورقصهم لهو، وقد كان صلى الله عليه وسلم ينظر إليه، ولا يكرهه، بل اللهو واللغو لا يؤاخذ الله به، فإن عنى به أنه فعل لا فائدة فيه لا يؤاخذ به، فكيف يؤاخذ بالشعر والرقص؟. قال تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾[621] فإذا كان ذكر الله تعالى على الشيء، أي على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم، والمخالفة فيه مع أنه لا فائدة فيه لا يؤاخذ به، فكيف يؤاخذ بالرقص والشعر؟. وأما قوله: "يشبه الباطل"، فهذا أيضا لا يدل على اعتقاد التحريم، بل لو قال: "فهو باطل"،

621- البقرة : 255.

صريحا لما دل على التحريم، بل دل على خلوه عن الفائدة، فالباطل ما لا فائدة فيه، والمباح لا فائدة فيه. وأما قوله: "مكروه"، فيجوز أن يريد به أن تركه أولى، والمكروه يطلق بالاشتراك على المحضور، والمنهي عنه نهي تنزيه، وعلى ترك الأولى. ثم قال حجة الإسلام، سيدي أبو حامد الغزالي، رضي الله عنه:" فقد صح من قوله وفعله ما هو صريح في الإباحة، وليس له في التحريم. قال يونس بن عبد الأعلى: سألت الشافعي عن إباحة أهل المدينة للسماع، فقال الشافعي: لا أعلم أحدا من علماء الحجاز كره السماع إلا ما كان منه في الأوصاف، فأما الحداء أو ذكر الأطلال والمرابع، وتحسين الصوت بألحان الأشعار فمباح"[622]. وقد نص في "الأم" "على إباحة لعب الشطرنج، وذكر أني أكره كل لعب وتعليله يدل عليه، فإنه قال: "ليس ذلك من عادة ذوي الدين والمروءة، فهذا يدل على التنزيه ورد الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه أيضا، بل قد ترد الشهادة بالأكل في السوق، وما يحرم المروءة بل الحياكة مباحة، وليست من صنائع ذوي المروءة، وقد ترد شهادة المحترف بالحرف[623] الخسيسة كالحجامة، وتعليله[624] يدل على أنه أراد بالكراهة التنزيه، وهذا، أي حمل الكراهة على التنزيه [وهذا] هو الظن أيضا بغيره من كبار الأئمة [جمعا بين الأقوال المتضادة تارة، وتارة جمعا بين القول والفعل][625] ، وإن أرادوا التحريم فما ذكرناه حجة عليهم"[626].هـ

والحاصل أن الإمام الشافعي ليس تحريم الغنا بمذهب له أصلا. قال صاحب الإمتاع: "وقد تتبعت أنا عدة كثيرة من المصنفات فلم أر له نصا في تحريمه، وطالعت جملة من الأم والرسالة، وتصانيف متقدمي الأصحاب ومتوسطهم

622- إحياء علوم الدين، 2: 284.
623- إحياء: بالحرفة.
624- الإحياء: فتعليله.
625- العبارة ساقطة من الإحياء.
626- إحياء علوم الدين، 2: 284.

ومتأخرهم، فلم يحك أحد عنه التحريم، بل حكى عنه أبو الأسود، وأبو منصور البغدادي، أن مذهبه إباحة السماع بالقول والألحان، إذا سمعه الرجل من رجل، أو من جاريته، أو من امرأة يحل له النظر إليها، متى سمعه في داره، أو في دار بعض أصدقائه، ولم يسمعه على قارعة الطريق، ولم يقترن سماعه بشيء من المنكرات، ولم يضيع مع ذلك أوقات الصلاة عن أدائها فيها، ولم يضيع [شهادة لزمه أداؤها][627]". فأين قول صاحب التقييد المذكور: "اتفق مذهب الشافعي على التحريم"، مع ما قررنا؟ ومذهب الشافعي هو ما سمعت.

وأما أبو حنيفة، رحمه الله تعالى، وأعاد علينا من بركاته، فيقول بإباحته[628] أيضا، "وما ورد عنه بخلافه يحمل على الغنا المقترن بشيء من الفحش ونحوه، جمعا بين القول والفعل، على أن التحريم أخذ من مقتضى قوله لا من نصه، ولا دلالة فيما أخذ عنه لاحتماله وجوها، ومذهبه في إطلاق الكراهة على التحريم، أو التنزيه مشهور"[629].

وأما الإمام مالك، رحمه الله تعالى ورضي عنه، فيقول بإباحته أيضا، "وحكى ذلك عنه القشيري، والأستاذ أبو منصور، والقفال، وغيرهم، ولا نص له في تحريمه، وإنما أخذ من قوله: "إنه لا يصح بيع الجارية المغنية على أنها مغنية"[وقد تقدم الكلام عليه، وهو محتمل][630]، وهو محتمل. وما نقل عنه بالإسناد أنه سئل عنه، فقال: "إنما يسمعه الفساق"، محتمل كذلك، وأنه لا يجوز، محمول على ما يقترن به منكر، ونحوه جمعا بين النقول [التي قدمناها][631]، وأيضا فقوله: "إنما يسمعه الفساق"، معناه الذين تعهدهم، أو تعرفهم يسمعونه عندنا، وصفهم كذا،

---

[627]- في الأصل: [شهادتهم من أدائها]، والعبارة التي أثبتناها في النص من إتحاف السادة المتقين، 6: 515.
[628]- انظر تفصيل ذلك عند المرتضى في اتحاف السادة المتقين. 6: 515.
[629]- إتحاف السادة المتقين. 6: 515.
[630]- العبارة ساقطة من الأصل، وقد أثبتناها من الإتحاف.
[631]- العبارة ساقطة من النص.

فلا يدل على أنه أراد التحريم، كما إذا قلت: ما قولك في المتفرجين في البحر؟ تقول: إنما يفعله عندنا أهل اللعب وأهل الفساد، فلا دلالة على تحريمه فرجته البحر.

وأما الإمام أحمد، رحمه الله تعالى، ورضي عنه، فقد صح عنه سماع الغنا عند ابنه صالح. وقد قال أبو حامد: "إن فعله يضاف إليه مذهبا يكون كالقول وما ورد عنه مخالف لهذا محمول على الغناء المذموم، المقترن به ما يقتضي المنع منه. وقد كان أبو بكر الخلال، وصاحبه عبد العزيز يحملان الكراهة من أحمد على غناء يقترن به ما يقتضي الكراهة. وأما أخذه ذلك من كسب المخنث على تقدير تسليمه أن كسبه بالغناء فلا يدل، لأن أكثر من قال بإباحة الغناء أطلق القول بمنع أخذ الأجرة على الغناء [وقد يجوز الشيء ويمتنع غيره بالعوضية لمعنى آخر][632]. وكيف يصح استنباط ذلك من مقتضى قوله: وفعله يخالفه". وقد علل هو المنع بأنه كان يقول: إنه يقترن به منكر. وقول ابن الجوزي: إنه يحمل فعله وقوله على ما كان يغني به من القصائد الزهديات كلام عجيب، فإن الكلام في التحريم والإباحة للغنا نفسه لا ما يقترن به. وكون الشعر الذي يغنى به مما لا يجوز ليس موضع النزاع فإنه يكون تحريمه لعارض، ولا نعلم أحدا قال بجواز الغناء بالقصائد الزهديات دون غيرها. وابن الجوزي غلب عليه الوعظ والرواية، والفقيه الغواص له مرتبة أخرى، والله أعلم". انظر شرح الإحياء[633] لسيدي الشيخ المرتضى من آخر كتاب السماع والوجد.

وإذا علمت هذا فانظره مع قول صاحب التقييد المذكور: "فقد اتفقت المذاهب كلها الخ". وقوله بعد ذلك: "وهذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة والإمام أحمد بن حنبل، وأئمة المسلمين"، مع أن مذهب الأئمة ما سمعت. والحاصل أن مذهب

632- وتمام العبارة من الإتحاف.

633- إتحاف السادة المتقين، 9: 505.

الأئمة الأربعة هو الجواز لا المنع. نعم الذي وقع الاتفاق عليه من أرباب المذاهب كلها هو أن من اتخذ الغناء حرفة وصناعة لم تقبل شهادته، لا على الغنا نفسه، ولا على من لم يتخذه حرفة. قال في الإحياء: "وقد نص الشافعي، وقال في الرجل يتخذه صناعة: لا تجوز شهادته، وذلك لأنه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل، ومن اتخذه صناعة كان منسوبا إلى السفاهة وسقوط المروءة، وإن لم يكن محرما بين التحريم، فإن كان لا ينسب نفسه إلى الغناء ولا يؤتى لذلك ولا يأتي لأجله، وإنما يعرف بأنه قد يطرب في الحال فيترنم بها لم يسقط هذا مروءته ولم يبطل شهادته، واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان في بيت عائشة رضي الله عنها" انتهى[634] وقال الماوردي في الحاوي: "من باشر الغنا بنفسه فله ثلاثة أحوال: أن يصير منسوبا إليه، ويسمى به فيقال له: المغني[635]، يأخذ على غنائه أجرا، يدعونه الناس إلى دورهم لذلك، ويقصدونه في داره لذلك فهو سفيه، ترد شهادته، لأنه قد تعرض لأخس المكاسب، ونسب إلى أقبح الأسماء. الحال الثاني: يغني لنفسه إذا خلا في داره بالتستر استرواحا، فهذا مقبول الشهادة. الحال الثالث: أن يغني إذا اجتمع مع إخوانه ليستروحوا بصوته وليس بمنقطع إليه نظر، فإن صار مشهورا يدعونه الناس لأجله، كان سفيها، ترد به الشهادة". هـ من الشيخ المرتضى.

وأما قوله: "قبل ذلك قال معاد بن جبل الخ"، فكل ذلك خبر فما هو معلوم ضرورة يعلمه كل أحد، وكذلك ما بعده الخ تقييده مما لا يختلف فيه اثنان السماء فوقنا والأرض تحتنا، فقد اتفق العقل والنقل والإجماع والقياس على فضل الذكر وعلو شأنه، وسمو سبيله، إنه رحمة من الله ستر بها على الأشرار، وخص بها الأخيار، قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، فمهما أطلق الله

[634]- إحياء علوم الدين، 2: 284.
[635]- في الأصل: مغني.

اللسان فهو علامة خصوصية الجنان، وقد أعطي اللواء المنشور، ولذلك قيل: "إذا أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك"، قال تعالى: ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾، فالغفلة نار، والذكر جنة، والجنة محفوفة بالمكاره، والنار محفوفة بالشهوات، ومن المكاره حمل الأذى بقولهم مجنون، فليس في العبادات أسهل من الذكر ولا أسهل منه، لأنه يمكن للصغير والكبير، والقوي والضعيف، والمريض والصحيح، والنائم والقائم، والراكع والساجد، ويمكن لأرباب الصناعات وهم في صناعتهم، فسبحان الله ما أعظم هذه الفائدة وما أكثر الغافلين عنها ولهذا قال تعالى: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمومنين﴾.

واعلم أنه لا يختار المالك من عبيده لخدمته إلا من تهذبت أخلاقه، وكملت آدابه، ولهذا قيل: "علموا أولادكم الأدب واضربوهم على الكذب، والرحمن علم القرآن، ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾". ولما كان صلى الله عليه وسلم، مؤدبا بالمسمى، فاتحا خاتما، لأنه يؤدب بالشريعة في الافتتاح، ثم يرد بالحقيقة لمعرفة الفتاح. ومن كتاب "الروض الناضر في مناقب الشيخ عبد القادر" حكاية عنه، قال: "ولقد كنت بالجامع الأزهر بمصر وأنا جالسا أذكر الله يقظانا[636]، فرأيت ملائكة بأيديها الطيب يطوفون في المسجد، فمن وجدوه نائما استغفروا له، ومن وجدوه قائما رشوه وطيبوه، وهم ركب على نُجُب من النور، وأظن ذلك ليلة القدر، فتذكرت قوله تعالى: ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾، ثم قيل لي: إذا كان الاستغفار للنائمين فما يكون للقائمين. فالذكر أساس الدين، ورأس مال أهل اليقين، قال تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾، منعه من الصلاة إلا بالوساويس والأفكار في كل

---

[636]- في الأصل: يقضانا.

حال. ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾، فهو ملازم من الله لإعراضه عن ذكر الله، ﴿وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون﴾ ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون﴾، وهم الخاسرون أعمالا، ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾، ﴿ويحسبون أنهم على شيء﴾، وإنه لضلال وغي. وسبب ذلك كله الإعراض عن ذكر الله، فلينتبه اللاّه، والله يتولى هدانا وهُداه.

تنبه أيها اللاهي * وقم بالذكر لله
ولا تلهو ولا تسهو * فويل النار للساهي
وكن بالذكر مشغولا * عن الأكوان والجاه
وكن فيه جليس الله * فهو الآمر الناهي
إلاهٌ جل عن ذكر * وعن مثل وأشباه
ولكن ذكرنا فيه * لنا به سنا باهي
وأهل الذكر قد فازوا * بفيض مزهر زاه
فلا ترضى القرين السو * وحاذر كيده الداهي

ويرحم الله من قال في أثناء قصيدة:

ذكر الله أصل كمال * فاذكر الله إن أردت هداهْ

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مفتاح الجنة ذكر الله"، فذكر الله هو الوسيلة العظمى والدرجة العليا، وحبل الله الذي من اعتصم به نجا، وإنه ليوجب

جلال الله في الضمائر، ويفتح أبواب القلوب والسرائر، ولا تقوم العبودية إلا بذكر الله، (ولذكر الله أكبر)، فالمؤمن حقا من لازم الذكر، والمخلص حقا من اتسم بالفكر، لأن الذكر عنوان الفكر، والفكر معدن ينابع الحكمة من قلبه على لسانه، فأهل الذكر هم القادة، وهم السادة، ومجالستهم عبادة، لهم القدم، لا يشقى جليسهم، ولا يستوحش أنيسهم، هم الصافون المسبحون، ألا إنهم هم المفلحون، فكثرة الذكر ترياق، وللاستقامة في الضعن والإقامة، وكل الوسائل تنقطع في الجنة إلا وسيلتين: التلاوة والذكر، بدليل قوله تعالى: "أنا جليس من ذكرني"، وقولهم في الجنة: "الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور".

عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه قال: كان أبو عبد الله الأخضر ببلاد المغرب فحيث ما جذب الناس وانقطع عنهم الغيث أتى أهل تلك البلدة واتفقوا معه بثمن من المال الحاضر حتى يتراضوا كما يتراضى البائع والمشتري، فإذا دفعوا له الثمن دعا لهم فيصب الله تعالى عليهم الغيث في ذلك الأوان بجميع بلادهم، ولا يتعدى بلادهم، فانظر هذه المعاملة مع الحق سبحانه ما أصحها وما أبلغها. وقيل: إن الشجرة لا تقطع ولا تيبس ولا تصيبها آفة حتى ينسيها الله ذكرها، ألهمنا الله ذكره على الدوام، بفضله ورحمته وكرمه آمين ثم إن الذكر على قسمين: ذكر يبتغي منه الحسنات، وذكر يبتغي منه الواردات، فذكر الحسنات أنواع العبادات وأجناس الطاعات، وذكر الواردات هو ذكر الله تعالى، فإنه ترياق لجميع العلل الظاهرة والباطنة. وفي البخاري في آخر كتاب الدعوات، باب فضل الله ذكر الله تعالى، قال شارحه القسطلاني ما نصه: "أي ذكره عز وجل باللسان بالأذكار المرغب فيها شرعا والإكثار منها كالباقيات الصالحات والحوقلة والحسبلة والبسملة والاستغفار وقراءة القرآن، بل هي أفضل. والحديث ومدارسة العلم،

مناظرة العلماء وهل يشترط إحضار[637] الذكر أم لا؟ المنقول أنه يؤجر على الذكر باللسان وإن لم يستحضر معناه [...][638] وقسم بعض العارفين الذكر إلى أقسام سبعة: ذكر العينين بالبكاء، والأذنين بالإصغاء، واللسان بالثناء واليدين بالعطاء، والبدن بالوفا، والقلب بالخوف والرجاء، والروح بالتسليم والرضى، ذكره في الفتح صح منه"[639]. فالمشتغل بالأذكار آناء الليل والنهار فانٍ بمراده بحسب استعداده من التخلق بالأخلاق الربانية، هبة من الله أو هدية، فلا راحة للمؤمن إلا بذكر الله لحديث: " لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه". وحضرة الذكر هي حضرة القدس لأنها حضرات اللقا لكل من اتقى في كل ملتقى ومرتقى. فحضرة كل ذكر حضرة قدس، وحظيرة أنس تتجلى أنوارها عليه وعلى كل من لديه.

حضرة الذاكرين حضـــرة قدس * تتجلى أنسا على الـذاكريـــــنا
فانس كلا تنلْ مـن الحق أنســـا * واذكـر الله يصطـــفيك أمينا
واستـرحْ باللقا تجـــدْ لك روْحا * يعمـد الـروح باللقا يقــــينا
فتــأهلْ لســر هـــــــا وتـأهبْ * واجعل السير نحوها لك دينــا
وتمشغل بها هــن الكل حــــتى * يظهر الكنز بعد أن كان دفيـنا

فقد علمت بهذا أن الذكر لا ينحصر في أفعال، ولا أقوال ولا أحوال، بل كل شيء يقرب إلى الله زلفى، فهو ذكر، فجاهد نفسك أخي بملازمة ذكره، تجد سر مفاتيح جوده وبره، فإنه أجل وأعظم وأعز وأكرم من أن يرد سائله أو يحرم

---

[637]- الإحياء: استحضار.

[638]- تمام النص من الإحياء:" نعم يشترط أن لا يقصد به غير معناه، والأكمل أن يتفق الذكر بالقلب واللسان، وأكمل منه استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم المذكور ونفي النقائص عنه تعالى". الإحياء، 2: 185.

[639]- ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري، 9: 185.

قاصده، أو يخيب من توكل عليه، أو يطرد من صدق في إرادته وكان به منه إليه، وبالله التوفيق، وهو حسبنا ونعم المولى ونعم النصير. وما ذكره بعض الفقهاء كأبي بكر الأجدي، وكتاب التلبيس وأشبهها ونقله صاحب التقييد المذكور عن أبي بكر الطرطوشي وارتضاه الطرطوشي ونسبه لمن تقدمه من الأئمة الأربع، وجعل أصل ذلك هو السامري، فقال العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي نقلا عن أبي أحمد بن دستويه في جواب له عن المسألة التي الكلام فيها كل ذلك ساقط وغير صحيح، لا يلتفت إليه العاقل، ولا يعول عليه الواصل، بل يجب أن تمحى تلك الأسطر من تلك الدفاتر، لأنها أضلت كثيرا، فمن يدعي العلم وهو عنه بمعزل، نسأل الله العصمة، إنه الكريم الوهاب،عصمنا الله من الزلل، ووقانا شر الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأخلص وجهتنا إليه، ورزقنا وازعا عن أنفسنا لنبحث به عن عيوبنا، ونستغني بذلك عن الالتفات لغيرنا، فإن من اشتغل بعيوب نفسه شغلته عن عيوب غيره، كما ورد، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، والحمد لله رب العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ونعوذ بالله من حالة الطرد، وسوء الحجاب، ونحمده سبحانه على التوفيق والإيمان، ونسأله الأمان، بجاه سيد الأنام، عليه من الله وما أفضل الصلاة وأزكى السلام، آمين، آمين، آمين.

قاله وكتبه العبد الفقير، المعترف بالقصور والتقصير، خديم أهل الله، محمد بن عبد اللطيف جسوس، ألبسه الله من محبته ومحبة رسوله، وكل من تبعه أفضل ملبوس.

وقد آن لنا أن نختم هذا التقييد المبارك بحول الله تعالى بما ختم به سيدنا الشيخ زروق، نفعنا الله به وبركاته كتابه: "النصيحة الكافية"، ونقله في شرح[640]

[640]- شرح حزب البحر لسيدي أحمد زروق، مخطوط الخزانة الحسنية رقم: 4257، ص 5.

صدره لحزب البحر عن محمد بن علي الترمذي الحكيم تبركا به، فقال: "اللهم إنا نتوسل إليك بحبهم فإنهم أحبوك، وما أحبوك حتى أحببتهم، فبحبك إياهم وصلوا إلى حبك، ونحن لم نصل إلى حبهم فيك إلا بحظنا منك، فتمم لنا ذلك مع العافية الشافية التامة الكاملة حتى نلقاك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين". وفي الحديث: "من دعاء داوود عليه السلام: "إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب من نفسي وأهلي ومن الماء البارد"[641]. وفي جامع[642] الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، اللهم وما زويتَ عني مما أحب فاجعله فراغا فيما تحب"[643].هـ. ولسيدي عبد الله جسوس:

صاحب ذوي الفصل تسعد من كرامتهم	واخدمهم صـــادقـــا واصدقهم خبرا
كم صحبة ألحقت من شؤمـــها ضـــررا	وصحبة طـــوقت من يمنـــهـا دررا
وشاهـدي كلب أهل الكهف مع ضَـعَة	من أجل صحبتهم في الوحي قد ذكرا

ذكرنا الله الكريم الحليم فيمن ذكره عنده بمنه وكرمه، آمين آمين، آمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما. تم على يد كاتبه لنفسه ثم لمن شاء الله بعده، أفقر خلق الله إلى رحمته وأسير ذنوبه المرتجي من مولاه أن يخلص أسره محمد بن الفقيه السيد محمد بن صالح التادلي الحسوني، أحسن الله عاقبته، وعلى السنة أماته، وفي ديوان أوليائه أدخله بمحض

[641]- أخرجه البخاري في تاريخه الكبير (ترجمة: 749)، والحاكم في المستدرك، والترمذي في الجامع الكبير، (رقم: 3490). قال الترمذي:" هذا الحديث حسن غريب"، عبد الله بن ربيعة مجهول.
[642]- الجامع الكبير، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، رقم: 3491. قال الترمذي:" هذا حديث حسن غريب".
[643]- أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة، 3: 416.

فضله وكرامه، لا بحوله وقوته، واغفر اللهم له ولوالديه وأشياخه وأهل محبته والمسلمين أجمعين آمين، آمين، آمين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، في 7 من شهر رمضان المعظم عام تسعة وستين ومائتين وألف، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

فهرس الموضوعات

فهرس مصادر التحقيق

- ا -

- إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من أحاديث البخاري ومسلم، ليوسف بن إسماعيل النبهاني، ضبط نصوصه مامون الصاغرجي، بيروت، ط1، 1411هـ/ 1991م.

- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار إحياء التراث، بيروت.

- أدب النفس للترمذي الحكيم، لأبي عبد الله محمد بن علي، (منشور مع كتاب الرياضة)، تحقيق آربري وعلي حسن عبد القادر, مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1366هـ/ 1947م.

- أزهار البستان في طبقات الأعيان, لأحمد بن محمد ابن عجيبة الحسني الفاسي, مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط، رقم: 417.

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لأحمد بن خالد الناصري، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956م.

- الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف، لمحمد بن الطالب بن الحاج السلمي، تحقيق جعفر بن الحاج السلمي، منشورات جمعية تطاون أسمير، 1425هـ/ 2004م. (جزآن).

- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، للعباس بن إبراهيم السملالي، مراجعة : عبد الوهاب بن المنصور، المطبعة الملكية، الربط، ط.2، 1413هـ/ 1993 م . (10 أجزاء).

- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط.2، 1995م.
- الاغتباط بتراجم أعلام الرباط، لمحمد بن مصطفى بوجندار، تحقيق عبد الكريم كريم، الرباط 1407 هـ / 1987 م.
- التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، لمحمد بن الطيب القادري، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط.1، 1403هـ / 1983م.
- ألف سنة من الوفيات، في ثلاثة كتب: شرف الطالب في أسنى المطالب، لأحمد بن القنفد، وفيات الونشريسي، لأحمد الونشريسي، لقط الفرائد من لفاظة حُقق الفوائد، لأحمد بن القاضي، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التراجم 2، الرباط، 1396هـ/ 1976م.
- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، لعلي بن أبي زرع الفاسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.
- الإنالة العلمية من الرسالة العلمية، لابن ليون التجيبي؛ مخطوط.
- أوضح المسالك وأسهل المراقي إلى سبك إبريز عبد الباقي، لمحمد بن أحمد الرهوني، المطبعة المصرية الأميرية، القاهرة، 1306هـ.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لإسماعيل باشا البغدادي، وكالة المعارف، 1364هـ /1945 م.

-ب-

- البداية والنهاية، لابن كثير، دار الفكر، بيروت (د. ت). (14 جزءا).
- بيوتات فاس الكبرى لابن الأحمر- دار المنصور، الرباط، 1972م.

ـ البدور الضاوية في مناقب أهل الزاوية الدلائية، لأبي الربيع سليمان الحوات، تحقيق ع. كظيمي، مرقونة بكلية الآداب بالرباط، 1992م.
ـ البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، لأبي القاسم الزياني، تحقيق رشيد الزاوية، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني، ط.1، 1992م.
ـ بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد لابن خلدون، الجزائر، 1328هـ/ 1910م.
ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأحمد بن يحيى الضبي، دار الكتاب العربي، 1967م.
ـ بيوتات فاس الكبرى، لابن الأحمر، دار المنصور، الرباط، 1972م.

- ت-

ـ تاريخ تطوان، لمحمد داوود، منشورات معهد مولاي الحسن، تطوان، 1379هـ/ 1959م، (ج1)، المطبعة المهدية، تطوان، 1382هـ- 1396هـ/ 1963- 1976م. (بقية الأجزاء).
ـ تاريخ الضعيف الرباطي (تاريخ الدولة العلوية السعيدة من نشأتها إلى أواخر عهد مولاي سليمان)، لمحمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد الرباطي، الملقب بالضعيف، دراسة وتحقيق محمد البوزيدي الشيخي دار الثقافة، الدار البيضاء، ط.1، 1408هـ / 1988 م .
- التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين من 1900 إلى 1972، لعبد الله بن العباس الجراري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط.1، 1406هـ/ 1985م.
- تحفة الأكابر في مناقب الشيخ عبد القادر، لأبي زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي، مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية بالرباط، 2330 ك.

- تحفة الزائر ببعض مناقب سيدي الحاج ابن عاشر، لأحمد بن عاشر بن عبد الرحمن الحافي، مخطوط محفوظ بالخزانة الحسنية بالرباط ، رقم 10913، (ضمن مجموع).
- تذكرة الحفاظ لأبي عبد الله شمس الدين الذهبي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، 1956 م .
- الترغيب والترهيب، للمنذري، ضبط أحاديثه مصطفى محمد عمارة، مصر، 1352هـ/ 1933م.
- ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض، تحقيق محمد ابن تاويت الطنجي، وعبد القادر الصحراوي، ومحمد ابن شريفة، وسعيد أعراب، منشورات وزارة الأوقاف بالرباط، 1383- 1403هـ/ 1965-1983م. (8 أجزاء).
- تعريف الخلف برجال السلف، لمحمد الحفناوي الديسي، تحقيق محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة، ط.1، 1402هـ / 1982 م .
- التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد = فهرس ابن غازي.
- تطوان خلال القرن التاسع عشر: مساهمة في دراسة المجتمع المغربي، لعبد العزيز السعود، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان- 1996م.
- تنبيه الصغير من الولدان على من وقع في مسألة الفار مع الهاربة من الهذيان لزاعم الفتيا آجليان للكلالي، تحقيق محمد المنوني، ضمن مجلة البحث العلمي، ع7، س 3، يناير –أبريل 1966م.
- تقييد في علماء وصلحاء سجلماسة، مخطوط محفوظ بالخزانة الحسنية بالرباط.
- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1412هـ- 1992م. (6أجزاء).

- تيسير الوصول، إلى جامع الأصول من حديث الرسول، لعبد الرحمن بن علي المعروف بابن الديبع الشيباني، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، 1388هـ/ 1968م.

- ث -

- ثمرة أنسي في التعريف بنفسي، لأبي الربيع سليمان بن محمد الحوات الشفشاوني، تحقيق عبد الحق الحيمر، ومحمد مفتاح، منشورات مركز البحوث والدراسات الأندلسية بشفشاون، سلسلة نصوص تراثية 2، مطبعة الهداية، تطوان، 1996م.

- ج -

- جامع الأصول، في أحاديث الرسول، لابن الأثير الجزري، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، ومكتبة دار البيان، 1389هـ 1969م/ 1392- 1972م. (11 جزءا).

- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تعليقات جماعة من العلماء، المكتبة التجارية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1357هـ- 1938م.

- جامع القرويين: المسجد والجامعة بمدينة فاس، لعبد الهادي التازي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط.1، 1972م.

- جامعة القرويين: الكتاب الذهبي، في ذكراها المائة بعد الألف، فضالة- المحمدية، 1960.

- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، لأحمد ابن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973 م .

- جمع الجوامع، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب. (د. ت). (جزآن).
- جواهر الكمال في تراجم الرجال، لأبي عبد الله محمد بن أحمد العبدي الكانوني، المطبعة العربية، الدار البيضاء، ط.1، 1356هـ.
- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي، تحقيق أحمد بن يوسف الكنسوسي، ط.1، 1414 هـ / 1994 م.

- ح -

- حلية الأولياء و طبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1387هـ/ 1967م.
- الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، لمحمد الأخضر، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1977م.

- خ -

- الخزانة العلمية، لمحمد العابد الفاسي، مطبعة الرسالة، الرباط، 1960م.
- ختم الأولياء، للحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي، تحقيق عثمان إسماعيل يحيى ، منشورات"بحوث ودراسات بإدارة معهد الآداب الشرقية في بيروت"، المطبعة الكاتوليكية، بيروت، 1965م. ومنشور أيضا بعنوان"سيرة الأولياء" ضمن ثلاث مصنفات للحكيم الترمذي.
- خلاصة الأثر، في أعيان القرن الحادي عشر، للمولى محمد المحبي، دار صادر، بيروت، (د. ت). (4 أجزاء).
- خلال جزولة، لمحمد المختار السوسي، المطبعة المهدية، تطوان، د.ت.

- د -

- درة الحجال، في غرة أسماء الرجال، لأحمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن القاضي، تصحيح سعيد علوش، المطبعة الجديدة، الرباط، 1934 هـ.

- الدرر البهية والجواهر النبوية، لإدريس الفضيلي العلوي، مراجعة ومقابلة أحمد بن المهدي العلوي ومصطفى بن أحمد العلوي، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1420هـ/1999م. (جزآن).

- الدرر الفاخرة، بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، لعبد الرحمان بن زيدان، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1356هـ/1937م.

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثية، القاهرة، د.ت. (5 أجزاء).

- دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لعبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، طبع ونشر وتوزيع دار الكتاب، الدار البيضاء، ط.2، 1960 م.

- دوحة الناشر، لمحاسن من كان من مشايخ القرن العاشر، لأبي عبد الله محمد بن علي بن عمر بن الحسين بن مصباح المعروف بابن عسكر، تحقيق محمد حجي.

- الديباج المذهب، في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي (799هـ)، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، د.ت.

- ر -

- الرسالة القشيرية، لأبي القاسم عبد الكريم القشيري، تحقيق عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1972م.

- رسالة الإشراق إلى كل الصوفية بجميع الآفاق، لأبي المواهب التونسي، مخطوط.

- رسائل ابن العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1. 1367هـ/ 1948م.

- الروض العاطر الأنفاس، بأخبار الصالحين من أهل فاس، المنسوب للشراط، تحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات، ط.1، 1997م.

- الروضة المقصودة، والحلل الممدودة، في مآثر بني سودة، لأبي الربيع سليمان الحوات، دراسة وتحقيق عبد العزيز تيلاني، مطبوعات مؤسسة أحمد ابن سودة الثقافية بفاس، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ط.1، 1415هـ/ 1994م. (جزآن).

- الروض الهتون، في أخبار مكناسة الزيتون، لمحمد بن غازي العثماني، المطبعة الملكية، الرباط، 1384هـ / 1964م.

- روضة الآس العاطرة الأنفاس، في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، لأحمد المقري التلمساني، المطبعة الملكية، الرباط، 1383هـ / 1964م.

- رياض الجنة، لعبد الحفيظ الفاسي، المطبعة الوطنية، 1350 هـ/ 1931 م .

- رياض الورد، فيما انتمى إليه هذا الجوهر الفرد، لأبي عبد الله محمد الطالب ابن الحاج السلمي المرداسي، تحقيق جعفر ابن الحاج السلمي، ج1، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، 1413هـ- 1993م، ج2، منشورات جمعية تطاون أسمير، سلسلة تراث 8، منشورات كلية الآداب بتطوان، 1420هـ/ 1990م.

- ز -

- الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، لمحمد حجي، المطبعة الوطنية بالرباط، 1384هـ/ 1964م.

- الزهر الباسم، أو العرف الناسم، في مناقب سيدي قاسم، لمحمد بن الطيب القادري، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، رقم 685.

ـ زهر الآس في بيوتات أهل فاس، لعبد الكبير بن هاشم الكتاني، تحقيق علي بن المنتصر الكتاني، منشورات مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1422هـ-2002م. (جزآن).

- س -

ـ السر الخفي في مناقب سيدي محمد الحنفي، لنور الدين علي بن عمر البتنوني، مخطوط.

ـ سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني، تصحيح محمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، البيضاء، ط.1425،1هـ / 2004م.

- سنا المهتدي إلى مفاخر الوزير أبي العباس اليحمدي، لمصباح الزرويلي اليصلوتي العثماني، مخطوط محفوظ بالخزانة الحسنية بالرباط، مسجل تحت رقم: 521.

- سنن أبي داود، إعداد عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، دار الحديث، حمص، ط1، 1388هـ 1969م/ 1394هـ 1974م.

- السنن الكبرى، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الفكر، بيروت. (10 أجزاء).

- سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي، صححها مجموعة من العلماء، المطبعة المصرية، (د. ت). (8 أجزاء).

- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، تحقيق جماعة من العلماء، مؤسسة الرسالة، 1419هـ - 1998م. (28 مجلدا).

- سلك الدرر، في أعيان القرن الثاني عشر، لمحمد خليل المرادي، دار البشائر، ودار ابن حزم، بيروت، 1408هـ - 1988م. (4 أجزاء).

- ش -

- شجرة النور الزكية، في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد مخلوف، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349 هـ .

- شذرات الذهب، في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، مكتبة القدسي، 1350 هـ .

- شرح العمل الفاسي لمحمد بن قاسم السجلماسي الرباطي، طبعة حجرية بفاس، 1317هـ.

- شرف الطالب في أسنى المطالب، لابن قنفذ = ألف سنة من الوفيات.

- الشرب المحتضر، والسر المنتظر، من معين بعض أهل القرن الثالث عشر، لجعفر بن إدريس الكتاني، دار الكتب العلمية.

- الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري، دار الثقافة، بيروت، 1964. (جزآن).

- ص -

- صفوة الصفوة، لابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن البغدادي، تحقيق محمد فاخوري، دار المعرفة بيروت، ط2، 1399هـ/ 1973م.

- صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، لمحمد الصغير بن محمد بن عبد الله الإفراني المراكشي ، طبعة حجرية.

- ط -

- طبقات الصوفية السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/ 1998م.

- الطبقات الصغرى ، لعبد الوهاب الشعراني، وضع حواشيه محمد عبد الله شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/ 1999م.

ـ الطبقات الكبرى، المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار، لعبد الوهاب الشعرني، ضبط وتصحيح خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 / 1418هـ/ 1997م.

- ع -

ـ عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، لأبي العباس أحمد الرهوني، تحقيق جعفر ابن الحاج السلمي (1- 2- 4)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية- تطوان. جمعية تطاون أسمير، ط 1، 1419هـ/ 1998م- 1424هـ/ 2003م.

- غ -

ـ غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية لابن عباد أبو عبد الله محمد بن إبراهيم النفزي الرندي، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود الشريف، دار المعارف، القاهرة، 1993م.

ـ ف ـ

- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد الحجوي الثعالبي، تخريج وتعليق عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ط.1، 1396هـ.

- فهارس علماء المغرب، لعبد الله المرابط الترغي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان، سلسلة الأطروحات، ط.1، 1420هـ / 1999م.

- الفهرست لأحمد بن عجيبة ، تحقيق وتقديم عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، دار الغد العربي، 1990م.

- فهرس أحمد المنجور، تحقيق محمد حجي، الرباط، 1396هـ / 1976م.

- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، باعتناء د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط.2، 1402هـ / 1982م.

- فهرس ابن غازي (التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد)، تحقيق محمد الزاهي، دار المغرب، الدار البيضاء، 1399هـ / 1979م.

- فهرس مخطوطات الخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة، تصنيف عبد الرحيم العلمي، منشورات وزارة الأوقاف، 1423هـ / 2002م.

- فهرس مخطوطات خزانة القرويين، لمحمد العابد الفاسي، قدم وترجم له ابنه محمد الفاسي الفهري، دار الكتب، الدارالبيضاء، ط.1، 1399هـ / 1979م.

- فيض القدير، شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1357هـ 1938م.

- ق -

- القصد الحميد في الخرقة والتجريد، لمحمد بن عبد الله المكودي، مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط ، رقم: (885).

- قواعد التصوف، لأحمد زروق البرنسي، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، ط2، 2005م.

- القواعد الكبرى في الفقه، لعز الدين ابن عبد السلام، دار القلم، تحقيق نزيه كمال حماد، وعثمان جمعة، ط1، 2000م.

- ك -

- كتاب الزهد، لعبد الله ابن المبارك المرزوي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، لعبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب، 1959م.
ـ كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، لأحمد التادلي الصومعي، تحقيق علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، سلسلة الأطروحات والرسائل، رقم: 6، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996م.
ـ كتاب الوفيات، لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب ابن قنفذ القسنطيني، تحقيق عادل نويهض، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ط.1، 1971 م .
ـ كتاب جمهرة الأمثال، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، ضبط وكتب هوامشه ونسقه أحمد عبد السلام وأبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1408هـ/1988م.
ـ كشف الخفاء ومزيل الالتباس، لإسماعيل العجلوني، أشرف على تصحيحه أحمد القلاس، مؤسسة الرسالة، بيروت.
ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، 1360 هـ / 1941 م .
- كفاية المحتاج، لمعرفة من ليس في الديباج، لأحمد بابا التنبكتي، ضبط النص أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم، ط.1، 1422هـ / 2002م.
- كنز الأسرار في مناقب العربي الدرقاوي وأصحابه، لأبي زيان محمد بوزيان بن أحمد الغريسي المعسكري، مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط، رقم: 13905.
- كنز العمال، في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي المتقي الهندي، تحقيق محمد عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ 2004م. (18 جزءا).

- الكواكب السائرة، بأعيان المائة العاشرة، لنجم الدين الغزي، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، بيروت، (د.ت).

- ل -

- لطائف المنن، ابن عطاء الله السكندري، تحقيق عبد الحليم محمود، القاهرة، 1974م.

- لقد الفرائد، في لفاظة الفرائد، لابن القاضي = ألف سنة من الوفيات.

- م -

- مؤرخو الشرفاء، تأليف ليفي بروفنصال، تعريب عبد القادر الخلادي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1397هـ / 1977م.

- مرآة الجنان، وعبرة اليقظان، لأبي محمد عبد الله اليافعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط3، 1413هـ 1993م.

- مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، لمحمد العربي بن يوسف الفاسي، دراسة وتحقيق محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن ابن الجد، ط.1، 1424هـ / 2003م.

- مرقاة الوصول حواشي نوادر الأصول، لمصطفى بن إسماعيل الدمشقي، (منشورة آخر نوادر الأصول)، دار صادر، بيروت.

- مشارق الأنوار، على صحاح الآثار، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق البلعشمي أحمد يكن، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1402هـ / 1982م.

- مشاهير أهل فاس في القديم، لمحمد بن عبد القادر الفاسي، حجرية، فاس، 1338هـ.

- المعيار المعرب، والجامع المغرب، عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، 1401هـ/ 1981م.

- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، للعراقي، زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين، منشور في ذيل الإحياء للغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- المستدرك على الصحيحين، للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1422هـ 2002م. (5 أجزاء).

- المسند، لابن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني، مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1412هـ/ 1991م.

- المصادر العربية لتاريخ المغرب (الفترة المعاصرة : 1790 م - 1930 م)، لمحمد المنوني، مطبعة فضالة، المحمدية، 1410 هـ / 1989 م .

- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، للحافظ ابن حجر، تحقيق حبيب الرحمان الأعظمي، منشورات وزارة الأوقاف- الكويت، 1393هـ/ 1973م.

- المقاصد الحسنة، في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1417هـ/ 1932م.

- المنحة في السبحة، للحافظ جلال الدين السيوطي (ضمن الحاوي للفتاوي)، مكتبة القدسي، القاهرة، 1351هـ.

- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، لعادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت ، ط. 2، 1400هـ / 1980 م.
- معجم البلدان لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر بيروت، ط. 2، 1995م.
- معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إلياس سركيس، مطبعة سركيس بمصر، 1346 هـ / 1928 م .
- معجم المطبوعات المغربية، لإدريس بن الماحي الإدريسي القيطوني، مطابع سلا، سلا، 1988م.
- معجم مصطلحات المخطوط العربي، لأحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط.2، 2004م.
- المقتبس الأسنا في بيان طرق معاني نظم الأسماء الحسنى، لأبي عبد الله محمد الحبيب الحسني الفلالي، مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط، رقم: 12050.
- ممتع الأسماع في الجزولي والتباع وما لهما من الاتباع، لمحمد المهدي الفاسي، تحقيق وتعليق عبد الحي العمروي، عبد الكريم مراد، ط.1، 1989م.
- منازل القربة، للإمام أبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي، تحقيق خالد زهري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، ط1، 1423هـ/ 2002م.
- موسوعة أعلام المغرب، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1417 هـ / 1996 م .

- ن -

- النعيم المقيم في ذكرى مدارس العلم ومجالس التعليم، لمحمد بن محمد المرير، تخريج أحمد بم محمد المرير، مراجعة جعفر بن الحاج السلمي، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان 1424هـ/ 2003م. (جزآن).

- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، لمحمد الصغير الإفراني، تحقيق عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، ط.1، 1419هـ / 1998م.

- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، لمحمد بن الطيب بن عبد السلام القادري، تحقيق محمد حجي، وأحمد التوفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط ، 1997 م. (4 أجزاء).

- نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير، لأبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني، مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط.

- نصيحة المريد، في طريق أهل السلوك والتجريد، لعلي بن عبد الرحمن بن محمد العمراني، المعروف بالجمل، تحقيق عاصم إبراهيم الدرقاوي، دار الكتب العلمية، ط1، 2005م.

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط.2، 1423هـ / 2004م.

- نوادر الأصول، في معرفة أحاديث الرسول، لأبي عبد الله محمد الحكيم الترمذي، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت.

- هـ -

- هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين)، لإسماعيل باشا البغدادي، وكالة المعارف، إستانبول، 1951 م .

- و -

- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، باعتناء هلموت ريتر، دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن، ط. 2، 1381 هـ / 1962 م .

- ورقات عن حضارة بني مرين، لمحمد المنوني، مطابع الأطلس، 1979م.

- وصف إفريقيا، للحسن الوزان، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.2، 1983م.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لشمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

- ي -

- اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، لمحمد البشير ظافر الأزهري، مطبعة الملاجيء العباسية التابعة لجمعية العروة الوثقى، 1324 هـ .

- اليواقيت والجواهر، في بيان علوم الأكابر، لعبد الوهاب الشعراني، دار صادر، بيروت، ط1، 1424هـ- 2003م. (جزآن).

الثمن: 50 درهما

العنوان

ساحة 9 أبريل ص.ب. 633 تطوان الهاتف - الفاكس: 039.70.20.25

www.asmir.web.ma E-mail: tetouan.asmir.@caramail.com